شيخاني

نزل الزواج

[...] هدية [...] الامريكية

[...] الجامعة بازدهارها

وليتة السنين

مع اطيب

من المحب

شمس [...]

[...]

بيروت في ٢٠/٧/١٩٥٢

منشورات
مكتب توزيع المطبوعات
بيروت
بناية الغازارية : شارع الامير بشير
ص . ب. ٢٦٤٦

مطبعة المناهل : تموز سنة ١٩٥٣

808.3
Sh55nA
C.1

سمير شيخاني

نزل الزواج

قصص من العالم

عبر هذا الكتاب

للمعرب

•

كتب مطبوعة :

- حطام قلب — مجموعة قصص موضوعة
- أشهر رسائل الغرام — (تعريب)
- العلاقات الدولية في ٢٠ سنة (١٩١٩ - ١٩٣٩) — للبروفسور أ. ه. كار

كتب تحت الطبع :

- سالومه — مسرحية لاوسكار وايلد
- ليلة الزفاف — مسرحية لغي دو موباسان
- حقائق مجهولة عن مشاهير العالم — لدايل كارنيجي
- صدّق ... لا تصدق ! — لروبرت ريبلي
- الخطايا السبع — مجموعة قصص عالمية
- نادي الحجل — تمثيليات فكاهية غربية
- قصص مختارة من الادب السكندينافي
- اشهر المغنين عند العرب ونوادرهم
- اشهر الاوبرات العالمية

نزل الزواج

اسطورة صينية

للي فو – ين

•

كان «واي كو» يبحث عن فتاة طيبة تشاطره حياته، ولكنه عبثاً كان يفعل للشروط التي وضعها نصب عينيه وأحبّ أن تتوفر في الزوجة العتيدة. وفي العام ٨٠٧ قام برحلة الى تسنغو، وتوقف ذات ليلة في نزلٍ يقوم خارج بوابة سونغشنغ الجنوبية. فاقترح عليه أحدهم أن يتزوج فتاة من اسرة «بان» التي يعادل مستواها الاجتماعي مستوى اسرته. وحدّد وسيط الزواج هذا موعداً لمقابلته صباح اليوم التالي في معبد لونغشنغ. ولم يستطع «واي» أن ينام لحظة تلك الليلة لفرط السرور الذي غمره بسبب هذا الزواج المنتظر من فتاة موسرة، ذات جمال موصوف. ونهض من فراشه عند الفجر، فاغتسل، وارتدى ملابسه، وقصد الى مكان اللقاء. وكان الهلال ما يزال يتلألأ في كبد السماء الشاحبة. فلمّا وصل أبصر رجلاً عجوزاً جالساً على درجات سلم المعبد، يقرأ في كتاب على ضوء القمر الشاحب. وكان بجانبه كيس صغير.

ودفع الفضول «واي» الى معرفة ما يقرأ العجوز في تلك الساعة غير المناسبة، فتطلّع من فوق كتفه فلم يستطع فهم شيء مما في الكتاب. فقد كان ملمّاً بجميع اللغات القديمة المعروفة، حتى اللغة السنسكريتية، ولكن لغة هذا الكتاب استعصت عليه. فسأله:

– أيمكنني أن أسألك ما هذا الكتاب الذي تطالعه، يا عماه؟ كنت اعتقد انني عالم بجميع لغات الأرض، غير انني لم ارَ قط هذا النوع من الكتابة.

فأجاب العجوز مبتسماً:

– ما في ذلك ريب. فلغة هذا الكتاب ليست من اللغات المعروفة.

– وما هي هذه اللغة؟

– أنت بشر، وهذا الكتاب من عالم الروح!

– إذن انت روح! ماذا تفعل هنا؟

– ولمْ لا أكون هنا؟ فقد جئتَ انت مبكراً. ففي هذا الوقت، بين الليل والصباح، نصف المسافرين من البشر والنصف الآخر من الأرواح. ولكنك لا تستطيع التمييز بينهم. اما انا فمكلف برعاية شؤون الانسان، أطوف في الليالي لمراقبة الاشخاص الملقاة على عاتقي امورهم، ولديّ عناوينهم.

فسأله «واي»:

– وما هي هذه الشؤون ؟

– الزواج !

فاهتم «واي» لذلك اهتماماً كبيراً وقال :

– انك الرجل – عفواً – الشخص الذي ارغب في استشارته. فلم يتح لي العثور على فتاة من عائلة ملائمة اتخذها زوجة لي . والواقع انني جئت الى هذا المعبد من أجل موعد للزواج من فتاة من أسرة «بان» يقال انها رائعة الحسن ، مهذبة ، حميدة الخصال . ألا قل لي ، هل انجح في زواجي ؟

فسأله الرجل العجوز :

– ما اسمك ، وما عنوانك ؟

فأجابه «واي» على سؤاله . وجعل العجوز يقلّب صفحات المجلد الذي بين يديه ، واحدة تلو الاخرى ، ثم نظر اليه قائلاً :

– لست اعتقد ذلك . فكل الزيجات مدبّرة في السماء ، وهي مدوّنة جميعاً في هذا الكتاب . وإني لأرى ان زوجتك الآن طفلة في الثالثة من عمرها فحسب . فعندما تبلغ السابعة عشرة ستقترن بها . لا تخشَ بأساً !

– لا اخشى بأساً ! انك تعني أنه ينبغي لي ان ابقى عزباً مدة اربع عشرة سنة اخرى ؟

– هذا هو الواقع .

– ولن استطيع أن ادبّر امر هذا الزواج من فتاة اسرة «بان» ؟!

– كلا !

لم يدرِ «واي» ما اذا كان ينبغي له تصديق العجوز ام لا، ولكنه سأله :

– ما معك في هذا الكيس ؟

فارتسمت على ملامح العجوز امارات الغبطة وابتسم قائلًا :

– ان فيه خيوطاً حريرية حمراء. ان عملي يتلخص بما يلي: فانا أراجع اسماء الأزواج في هذا الكتاب. فعندما يبصر النور كل طفل وكل طفلة من الذين سيصبحون فيما بعد زوجين، فانني اذهب اليهما في الليل وأربط قدميهما معاً. وبعد ذلك لا يفرّق بينهما احد. يمكن ان يولد الواحد منهما في عائلة فقيرة، والآخر وسط الغنى الفاحش، او يمكن ان تباعد المسافات الشاسعة بينهما، او حتى يمكن ان تكون بين اسرتيهما منازعات حادة، فلا عبرة لكل ذلك، ويصبح الاثنان في النهاية زوجين، دون ان يكون في اليد حيلة.

– اذن فقد ربطت قدمي، على ما اعتقد ؟

– اجل، فعلت ذلك.

– واين هي الطفلة التي لا تتجاوز الثالثة من عمرها، والتي ستصبح زوجتي ؟

– آه ، إنها تقيم مع امرأة تبيع خضاراً في سوق البلدة . وهما غير بعيدتين عن هذا المكان ، والمرأة تغدو في الصباح الباكر الى السوق ، فاذا كان يهمك ذلك فاتبعني الى ساحة البيع والشراء بعد بزوغ الشمس وانا ادلّك عليها .

وشق الفجر نقاب السماء ولكن الرجل الذي واعد « واي » على اللقاء عند المعبد لم يأتِ . فقال له العجوز :

– أرأيت ان لا فائدة من انتظاره ؟

وتجاذبا قليلاً اطراف الحديث ، فألفى « واي » محدثه العجوز ظريفاً ، لطيف المعشر ، حلو الحديث . ولم يكتمه العجوز انه يحب عمله حباً شديداً ، وأردف قائلاً :

– حقاً ان فعل هذا الخيط الحريري لعجيب غريب . فاني أراقب الفتى والفتاة يشبّان ويكبران ، كل منهما في بيته ، لا يشعر أحدهما بالآخر ، في اغلب الأحيان . ولكن اذا ما آن الأوان فانهما يلتقيان ويقعان في شرك الغرام . وكل ما يعرفانه ان ليس في ايديهما حيلة . فاذا اتفق ان اعترض سبيلهما احد – شاب آخر او فتاة اخرى لا فرق – فانه يتعثّر بالخيط وتختلط عليه سبل النجاة ، فينتحر . وقد رأيت ذلك يحدث اكثر من مرة .

ومال العجوز الى « واي » واشار اليه برأسه ان اتبعني . ونهض حاملاً كيسه . وذهبا الى السوق ، وهي قريبة من

المعبد، فأبصرا الناس يتوافدون اليها زرافات ووحداناً. ودلّه العجوز على مكان وقفت فيه امرأة قذرة، منفوشة الشعر، تبيع خضارها، وقد اسندت الى صدرها طفلة. وكان على عينيها غشاوة يصعب معها ان ترى شيئاً. فقال العجوز:

– ها هي ذي المرأة. وهذه هي الطفلة التي ستصبح زوجتك!

فأفلتت من بين شفتي «واي» شتيمة مسموعة وقال مغضباً:

– ماذا تعني؟ إنك تمازحني!

– كلا، فأنا اؤكد لك ان برج هذه الطفلة سعيد. ستتزوجك، وتعيش في راحة ورفاهية، وتصبح سيدة مرموقة المقام بسبب ابنها.

وحدّق «واي» في هذه المتشردة النحيلة، وغصّ. شاء أن يناقش العجوز في اقواله، فالتفت حوله فلم يعثر له على أثر.

وعاد الى البيت وحيداً، يائساً لأنه لم يلتقِ وسيط الزواج الذي حدّد له موعداً لمقابلته وحنث بوعده، ولأنه لم يكن ليستطيع حمل نفسه على تصديق كلام العجوز او تسفيهه. وقال بينه وبين نفسه: «انا رجل عالم، فاذا لم يُتح لي الاقتران بفتاة من عائلة طيبة السمعة فلا أقلّ من ان اتخذ لي عشيقة من الوسط المسرحي.» وكان كلما فكّر في أنه سيتزوج من تلك الفتاة القذرة يتضح له ان الفكرة كريهة، سخيفة. وقد شغل ذلك تفكيره فجفاه النوم في تلك الليلة.

وفي صباح اليوم التالي خفّ وخادمه الى السوق بعد ان وعده بجائزة سنية اذا استطاع ان يجهز على الطفلة بطعنة مدية. وابصرا بائعة الخضار وعلى يدها الطفلة. وسنحت فرصة فانتضى الخادم مديته وانقضّ على الطفلة فطعنها وولّى الادبار، فصاحت الطفلة، وصرخت المرأة بأعلى صوتها: «الى القاتل!» وهاجت السوق وماجت، وعمّت الفوضى، فاستطاع «واي» وخادمه الهرب.

وسأل «واي» الخادم:

- هل اصبتها؟

فأجابه:

- كلا، فقد صوّبت المدية الى الطفلة ولكنها حوّلت وجهها بغتة. واعتقد انني جرحت وجهها ناحية الحاجب.

واسرع «واي» بهجر المدينة، وما لبث هذا الحادث ان اصبح نسياً منسيّاً.

واتجه غرباً صوب العاصمة، وحوّل افكاره عن الزواج بعد الفشل الذي اصابه اخيراً. وانقضت ثلاثة اعوام فنجح في العثور على فتاة من اسرة «تان» ذات المستوى الاجتماعي الرفيع. وهي فتاة متعلمة، ذات حسن ودلال. وهنأه الجميع على توفيقه. وجرت الاستعدادات للعرس على قدم وساق. ولكنه سمع ذات صباح نبأ انتحار خطيبته بعد ان احبّت رجلاً آخر.

ومرّت سنتان طلّق «واي» خلالهما كل تفكير في الزواج. فهو في الثامنة والعشرين وقد نبذ فكرة الزواج من فتاة لها مقامها الاجتماعي. وذات يوم توقّف لدى معبد في الارياف، فأبصر ابنة احد المزارعين، فوقعت من نفسه موقعاً حسناً، واحبها واحبته. وعُقدت خطبتهما، وهبط العريس العاصمة ليبتاع لها الحرائر والحليّ. ولدى عودته علم بنبأ اصابة خطيبته بداء وبيل. وكان راغباً في الانتظار حتى تشفى، ولكن داءها طال، فلم تنصرم السنة حتى فقدت الفتاة المسكينة شعرها كله، وبصرها. ورفضت ان تتزوجه طالبة اليه ان يدعها وشأنها ويبحث عمّن تليق به.

وكرّت الأعوام قبل ان يجد «واي» الشريكة المناسبة في فتاة رائعة الحسن، لها ولع شديد بالمطالعة، والفن، والموسيقى. ولم يكن هناك منافسون له على حبها، فعُقدت خطبتهما. ولكن قبل زفافهما بثلاثة ايام، وكانت تسير على طريق مرصوف بالبلاط، اذا بقدمها تزلّ فوق بلاطة غير مستقرة، فتقع ارضاً جثة بلا روح.

وهكذا بدا له أن القدر يهزأ منه ويسخر. واذا به يصبح انساناً يعتقد بالقضاء والقدر كل الاعتقاد، واذا به يقرّر ألاّ يهتم بالنساء بعد الآن.

وكان يعمل في شيانغشو، يؤدي واجباته بكل دقة دون

ان يفكر بالزواج. سوى ان مهارته في العمل ومواظبته عليه دفعتا القاضي «وانغ تاي» الى ان يعرض عليه الزواج من ابنة اخيه . ولم يكن هذا الموضوع ليسرّه ، فسأله :

ـ لماذا تريد ان تزوجني من ابنة اخيك ؟ لقد تقدمت بي السن !

ولكنه وافق على الزواج بعد الحاح شديد دون ان يتحمّس له كثيراً . ولم يرَ عروسه إلاّ يوم الزفاف بالذات ، فاذا بها في مبعة الصبا . فقنع بما قسم الله له . وتبين له انها زوجة طيبة بكل معنى الكلمة .

كانت الزوجة تصفف شعرها بطريقة خاصة تحجب صدغها الأيمن . وكان «واي» يراها جميلة هكذا ، الا انه كان يستغرب اصرارها على هذا التصفيف .

وما هي إلا شهور حتى سألها ، وكان حبه لها شديداً :

ـ لماذا لا تبدّلين تصفيف شعرك ؟ اعني لماذا تدعينه يسقط على ناحية واحدة من جبينك ؟

فرفعت الزوجة شعرها قائلة : «انظر !» واشارت الى اثر جرح . فسألها :

ـ وما سبب هذا الجرح ؟

ـ أُصبت به وانا بعد طفلة في الثالثة من عمري . لقد توفي والدي في مكتبه ، وما لبثتْ ان لحقتْ به في السنة نفسها

والدتي واخي . فبقيت انا في رعاية مرضعة . وكان لنا بيت بقرب البوابة الجنوبية في سونغشنغ حيث كان مكتب والدي. فكانت تزرع الخضار وتبيعها في السوق . وذات يوم ، ودون ان يكون هناك سبب ما ، حاول لص ان يقتلني . ولم نستطع تأويل ما حدث اذ لم يكن لنا اعداء . غير انه لم ينجح الا في ترك أثر هذا الجرح في جبيني . لذلك تراني اخفيه بشعري .

فسألها زوجها .

– هل كانت تلك المرضعة ضعيفة النظر ؟

– اجل ، كيف عرفت ذلك ؟

– لقد كنت انا ذلك اللص ! يا للغرابة . فقد حدث كل شيء كما شاء القدر !

وروى لها القصة من الالف الى الياء، مذ التقى الرجل العجوز لاربع عشرة سنة خلت . واخبرته هي انها لما بلغت السادسة او السابعة من عمرها وجدها عمها في سونغشنغ وحملها الى منزله في شيانغشو تقيم مع افراد عائلته، حيث وجدها « واي » . وعندها ايقنا ان زواجهما دُبّر في السماء ، فتضاعف حبهما ...

ورُزقا ابناً أسمياه « كون » اصبح فيما بعد قاضي تايوان ، فمُنحت الام رتبة شرف من اجل ابنها هذا ...

ولما علم قاضي سونغشنغ بما حدث في مدينته اطلق على النزل الذي توقّف فيه « واي » اسم « نزل الزواج » .

منجم الفضة

قصة اسوجية
لسلمى لاغرلوف

•

كان الملك غوستاف الثالث مسافراً الى داليكرلي . ودهمه الوقت فرغب في التقدّم بسرعة. وقد بلغ من سرعة الجياد التي تجر العربة انها كانت تبدو كسيورٍ مشدودة على الطريق . ولم تكن العربة لتسير الا على عجلتين اثنتين فقط لدى المنعطفات ، ومع ذلك كنت ترى الملك يخرج رأسه من الباب ليصيح في الحوذي :

– لمَ تدعنا نتهادى كذلك ؟ أوَ تعتقد انك تقود قافلة من الاصداف ؟

انها حقاً لمعجزة ان يتحمّل جهاز الجياد والعربة مثل هذه السرعة الجنونية وعلى طرق وعرة . ولكن الجهاز لم يتحمل تزايد الضغط ، وعند احد المنحدرات تحطّم بِجرّ العجلة ، واذا بالملك يتأخر كرهاً عن المسير. وترجّل افراد الحاشية من العربة وجعلوا يحملون على الحوذي ، فلم يبدّل ذلك شيئاً من واقع الحال. ولم يكن في الوسع متابعة الرحلة قبل اصلاح العربة.

واجال رجال الحاشية الانظار حواليهم علّهم يجدون شيئاً ما يمكن ان يلهي الملك في فترة الانتظار ، فابصروا عن بعد قليل، وعلى الطريق، ناقوساً يبرز من خلال غابة صغيرة الشجر. فاقترحوا على الملك ان يصعد الى احدى عربات الحاشية لتقلّه الى الكنيسة . وكان اليوم يوم احد ، وبوسع الملك ان يستمع الى الصلاة لتمضية الوقت حتى تصبح العربة الملكية الكبرى جاهزة .

أخذ الملك بهذا الاقتراح واتجه شطر الكنيسة . فحتى تلك اللحظة لم تقع عيناه ، خلال الساعات الطوال التي قضاها على الطريق ، الا على غابات مترامية الاطراف ، سوداء . اما هنا فالمنظر يرتدي طابعاً اكثر بهجة. فعبر الحقول المنبسطة والقرى تجري مياه نهر داليف الرقراقة الصافية بين اشجار الحور الرومي التي لا تعدّ ولا تحصى .

سوى ان حظ الملك كان سيئاً، اذ ما كاد يترجّل من العربة في فناء الكنيسة حتى سمع المرتّل يستهلّ مزمور الخروج ، وشرع الناس ينصرفون . فتسمّر في مكانه لدى رؤيتهم يمرون من امامه ، رِجلًا في العربة ، ورجلًا على موطىء القدم منها ، مأخوذاً بهذا المشهد . فلم يرَ في حياته أناساً في مثل هذا المظهر الحسن . فالرجال، وقاماتهم جميعاً فوق المتوسطة ، ذوو وجوه رزينة تشع ذكاء، والنساء يتقدمن بوقار وجلال كما لو كان السلام

الرّباني ينعكس على سيماهن .

كان الملك طيلة يومه يتحدث عن خراب البلاد التي يجوبها مردداً دون انقطاع على مسامع افراد الحاشية :

– عليّ الآن أن أعبر القسم الاكثر بؤساً من مملكتي .

أما الآن فقد نسي تماماً ، وهو يشاهد السكان يرتدون الزي الوطني الجميل ، التفكير في فقرهم . بل انه على النقيض شعر بالحرارة تدب الى قلبه ، فقال بينه وبين نفسه: « إن ملك أسوج ليس كما يعتقد اعداؤه في مأزق حرج سيء . فما دام رعاياي يحتفظون بهذا المظهر فانني في حالة تمكنني من الدفاع عن عرشي وبلادي ! »

وأعلن رجال الحاشية للمارة ، بناء على أمره ، ان الغريب الواقف وسطهم هو مليكهم ، وجمعوهم حوله ليتمكن من التحدث اليهم .

وهكذا القى الملك خطبة في الشعب . فتكلم من اعلى السلم المؤدي الى الموهف (السكرستيّا ، وهي الغرفة التي تضم الاواني الكنسية ومسوح الكهنة) ، وما تزال الدرجة الضيقة التي وقف عليها قائمة الى يومنا هذا .

تحدّث الملك في بادىء الامر عن احوال البلاد التي اخذت تزداد سوءاً . فقال ان الاسوجيين تعرضوا لهجمات الروس والدنماركيين . وما كان ذلك ، في ظروف اخرى ، ليشكل

خطراً يؤبه له لو لم يكن الجيش في الوقت الراهن يعجّ بالخونة بحيث لم يعد يجرؤ على الوثوق به. لذلك لم يبق امامه سوى التجول في طول البلاد وعرضها، بشخصه، ليسأل رعاياه ما اذا كانوا يرغبون في الانضمام الى الخونة او البقاء مخلصين لمليكهم، يقدّمون له مساعداتهم بالرجال والمال ليتسنى له انقاذ الوطن.

لزم الفلاحون جانب الصمت طيلة المدة التي استغرقها الخطاب، وحتى بعد ان فرغ الملك من القائه فانهم لم يأتوا بأي حركة، لا استحساناً ولا استهجاناً.

شعر الملك انه كان بليغاً، وقد ترقرق الدمع في عينيه اكثر من مرة خلال خطبته. ولكنه سرعان ما قطّب حاجبيه وبدا عليه انه مستاء من تشبث الفلاحين بموقفهم المتردد دون ان يقرّ رأيهم على اعطائه اي جواب. وعلموا ان الملك بدأ يشعر ان الانتظار طـــال، فانفلت واحد منهم، في النهاية، وتقدّم منه قائلاً:

ـ يجب ان تعلم، ايها الملك غوستاف، اننا لم نكن لننتظر زيارة ملكية هذا اليوم. لذلك ترانا غير مستعدين لان نجيبك على الفور. ونصيحتي اليك ان تدخل «السكرستيّا» فتكلم راعينا بينا نتداول نحن في القضية التي انهيتها الينا.

وايقن الملك انه لن يعلم اكثر من ذلك في الوقت الراهن، ورأى من الحكمة الاخذ بنصيحة الفلاح.

ودخل « السكرستيا » فلم يجد احداً اللهم الا رجلاً يبدو انه فلاح عجوز، طويل القامة، صلب العود، يداه ضخمتان أنهكهما العمل المضني والكد والعناء، يرتدي سراويل من الجلد، ورداء طويلاً ابيض من الصوف الخشن كسائر ابناء جنسه في تلك البلاد. فقام وانحنى امام الملك الداخل، فقال هذا:

— كنت اعتقد انني سأجد الكاهن هنا.

فأحسّ بحمرة الخجل تعلو وجهه. ولكن ما دام الملك يعتقد انه فلاح، فلا داعي الى ان يكشف عن حقيقته ويقول له انه راعي الاقليم، فأجاب:

— اجل، ان من عادة الكاهن ان يكون هنا في هذه الساعة.

وتهالك الملك فوق مقعد كبير عالي الظهر كان وقتئذ في « السكرستيا » وما يزال هناك حتى الآن، وقد زيّنت الرعية اعلى ظهر المقعد هذا بتاج ملكي مذهّب.

وشاء الملك ان يبدو بمظهر المهتمّ بشؤون تلك الناحية، فقال:

— هل راعي هذا الاقليم رجل طيب؟

الا ان الطريقة التي طرح بها الملك هذا السؤال جعلت الراعي يمضي في اخفاء حقيقته. فقال بينه وبين نفسه: «يستحسن ان يبقى الملك على اعتقاده بأنني لست سوى احد الفلاحين.» فكان جوابه ان الراعي لا بأس به، يبشّر بكلام الرب بأسلوبٍ واضحٍ صافٍ، ويحاول ان يعيش حسب تعاليمه.

وجد الملك اطراء كثيراً في ذلك، ولكنه وهو صاحب الاذن الدقيقة الحساسية، لاحظ بعض التردد في نبرات مخاطبه ، فقال :

– يبدو انكم لستم راضين كل الرضى عن هذا الراعي .

فأجابه :

– انه مستبد بعض الشيء !

قال ذلك وهو يفكر في ان الملك ، اذا ما توصل الى معرفة حقيقته ، فينبغي له ان يتحاشى ، على الاقل ، ان يبدو انه يمدح نفسه . لذلك رأى من الحكمة توجيه بعض الانتقادات الى الراعي ، فواصل كلامه :

– يقول الكثيرون ان الراعي ينفرد باتخاذ القرارات في هذا الاقليم .

فقال الملك :

– في هذه الحالة يجب ان يكون قد قرر كل شيء على احسن وجه. فانه يبدو لي ان الخصال الحميدة وسلامة الطوية التي كانت سائدة في قديم الزمان متوفرة هنا .

قال ذلك لأنه لا يحبّ ان يدع للفلاح مجالاً للتذمر والشكوى من رئيسه .

ومضى الراعي يقول :

– ان الناس هنا شرفاء ، ولكنهم يعيشون بعيداً عن كل شيء ، وسط العزلة والفقر . فلو اقتربت منهم مغريات العالم لما

كانوا افضل من سواهم .

فهزّ الملك كتفيه قائلًا :

– من حسن الطالع انه لا يُخشى حدوث امر كهذا .

وصمت ، وجعل ينقر الطاولة بأنامله . فقد اعتبر انه تبادل مع هذا الفلاح الخشن من الحديث ما فيه الكفاية ، وتساءل بفارغ صبرٍ متى يصل الفلاحون الى قرار حاسم . وفكّر بينه وبين نفسه : « انهم، على ما يبدو، ليسوا متأهبين لمد يد المعونة الى مليكهم . فلو كانت عربتي جاهزة لرحلت فوراً بعيداً عنهم وعن مداولاتهم .»

أما الراعي فكان، من جهته ، نهباً لنزاع داخلي بسبب القرار الخطير المطلوب اتخاذه . وسرعان ما هنّأ نفسه على كتمانه حقيقة امره عن الملك . فانه يستطيع ، والحالة هذه ، ان يحدّثه عن امور لم يكن ليجرؤ على خوضها بطريقة اخرى .

وبعد سكوت قصير قطع الراعي حبل الصمت من جديد ليسأل الملك عما اذا كان صحيحاً ان الاعداء سينقضّون عليهم ، وعما اذا كان الوطن في خطر .

لم يرق الملك ان يزعجه هذا الفلاح الفظ ، فحدجه بعينيه دون ان ينبس ببنت شفة .

قال الراعي :

– إني اسأل ذلك لأنني كنت في الداخل ولم اتمكن من سماع

الخطاب . اما اذا كانت الحالة كذلك ، فبودي ان اقول لك ان في وسع راعي هذا الاقليم أن يقدّم للملك ما يحتاج اليه من مال .

فقال الملك وهو يعتقد ان هذا الرجل لا يفقه ما يقول :

– لقد سبق وسمعت ان الجميع هنا فقراء معوزون .

فأجاب :

– اجل ، صحيح ، والراعي افقرهم طراً . ولكن اذا تفضّل الملك واصغى الي فسأخبره كيف يستطيع الراعي ان يساعده .

فقال له الملك :

– تكلم ! يبدو انك لا تجد صعوبة في اخراج الكلام من بين شفتيك كتلك الصعوبة التي يجدها اصدقاؤك وجيرانك هناك الذين لا يتوصلون الى رأي حاسم .

– ليس من السهل ، كما تتصور ، الرد على الملك . وأخشى ان يضطر الراعي الى الاجابة بلسان الجميع وبالنيابة عنهم .

فوضع الملك رجلًا فوق اخرى واستغرق في مقعده، وشبّك ذراعيه ، وحنى رأسه فوق صدره قائلًا بصوت يشبه صوت من أخذته سنة من النوم :

– الآن يمكنك ان تبدأ .

قال الراعي :

– كان خمسة رجال من هذا الاقليم يصطادون الوعل في

الغابة . وكان احدهم الراعي الذي نتحدث عنه . واثنان منهم جنديان احدهما يدعى اولوف والآخر اريك سفارد . وكان الرابع صاحب نزل القرية التي نحن فيها. اما الخامس فكان فلاحاً اسمه اسرائيلز بير بيرسون .

فتمتم الملك وقد مال برأسه الى جانب :

— ليس من حاجة الى ذكر الاسماء .

— كان هؤلاء الصيادون ماهرين ، يبتسم الحظ لهم دائماً . الا انهم قطعوا ، في ذلك اليوم ، المسافات الشاسعة دون ان يوفقوا الى صيد ثمين، حتى انهم في النهاية قطعوا الرجاء من البحث وافترشوا الارض لتجاذب اطراف الحديث . ومما قالوه انه ليس في الغابة بأسرها مكان واحد يصلح للزراعة . فليس فيها سوى الصخور والمستنقعات . قال احدهم :

— ان الله لم ينصفنا عندما اعطانا بلاداً فقيرة كهذه لنعيش فيها . ففي اقطار اخرى يجمع الناس الثروات الطائلة وحطام الدنيا . في حين اننا هنا ، على الرغم من كل جهودنا ، نكاد لا نؤمّن خبزنا اليومي .

وتوقف الراعي هنيهة متسائلاً عما اذا كان الملك يصغي اليه. فحرّك هذا اصبعه قليلاً دلالة انه ما يزال مستيقظاً. فتابع كلامه:

— ففي اللحظة نفسها التي كان الصيادون فيها يتبادلون هذه الاحاديث لمح الراعي شيئاً يشع في الصخرة بعد ان اقتلعت قدمه،

صدفةً، الطحلب الذي يكسوها. فقال: ان هذه الصخرة لفريدة في نوعها. واقتلع برفسة قوية مدرة (تلعة) ، وتناول شحفة علقت بالطحلب يشبه بريقها بريق الصخرة كلها. فتساءل: الا يمكن ان يكون هذا رصاصاً ؟

عند ذاك هبّ الجميع من اماكنهم وشرعوا يقتلعون الطحلب بأعقاب بنادقهم حتى تم لهم ما ارادوا ، فرأوا بكل وضوح عرق معدن يتخلل الصخرة .

قال الراعي :

ـ ما رأيكم في هذا ؟

فاقتطعوا شحفاً اخرى وعضّوا عليها بأسنانهم ، ثم قالوا :

ـ ان هذا إما رصاص او « زنك » (توتيا معدنية) .

واضاف صاحب النزل :

ـ الصخرة كلها مملوءة بهذا المعدن .

عندما وصل الراعي الى هذا الحدّ من حكايته رأى رأس الملك يرتفع قليلاً، ورأى احدى عينيه تفتح. وما لبث ان سأله :

ـ اتعرف هل كان بينهم خبير بالصخور او المعادن ؟

فاجاب الراعي :

ـ كلا ، لم يكونوا يفقهون شيئاً في هذه الامور .

فعاد رأس الملك الى وضعه السابق ، وأغمضت عيناه . واكمل الراعي كلامه دون ان يصرفه عن الحديث عدم اكتراث

الملك ، فقال :

ـ وسُرّ الراعي ورفاقه كثيراً باكتشافهم هذا، واعتقدوا انه سيجعلهم اثرياء هم وذريتهم من بعدهم .

قال احدهم :

ـ لن اضطر الى العمل بعد الآن .

وقال آخر :

ـ ستتوفر لديّ الوسائل التي تغنيني عن العمل طيلة الاسبوع، ويوم الاحد سأذهب الى الكنيسة في عربة مذهّبة .

كانوا اناساً طيبين ، ولكن الاكتشاف العظيم سلبهم ألبابهم حتى باتوا يتكلمون كالاطفال . ثم انهم احتفظوا برباطة جأشهم وبرودهم فأعادوا كل شيء الى حاله ، واخفوا عرق المعدن بالطحلب والمدر ، ثم وضعوا اشارة ترشدهم الى المكان، وقفلوا عائدين الى بيوتهم .

وقبل ان يفترقوا اتفقوا فيما بينهم على ان يذهب الراعي الى بلدة فالون ليستفسر من مفتش المناجم عن نوع المعدن الذي اكتشفوه على الا يتأخر في العودة اليهم. وفي هذه الأثناء قطعوا على أنفسهم عهداً بألاّ يبوحوا الى احد بمكان المنجم .

ومن جديد رفع الملك رأسه قليلاً ولكنه لم يقاطع المتحدث بكلمة واحدة . فقد بدأ ، اخيراً ، يقتنع بأن لدى محدثه، حقاً، شيئاً ذا اهمية ينهيه اليه ما دام لا يتأثر بقليل او كثير بلامبالاته.

وواصل الراعي كلامه :

ـ وهكذا مضى الراعي وفي جيوبه بعض النماذج من المعدن. كان مسروراً كرفاقه لمجرد التفكير في انه سيصبح غنياً. وكان يردد بينه وبين نفسه انه سيتمكن قريباً من تحقيق احلامه باعادة تشييد بيته الخاص الذي يبدو كأنه كوخ عادي، والزواج من ابنة العميد الذي يحبها حباً جماً . لقد كان يعتقد ان عليه ان ينتظر السنين الطوال قبل ان يتاح له الزواج منها . فهو فقير ومغمور ، ويعرف تماماً ان اياماً طويلة ستمرّ قبل ان يتبوأ منصباً يدرّ عليه المال الكافي للزواج .

وصل الراعي الى فالون بعد يومين ، وقضى اليوم الثالث في انتظار المفتش الذي كان غائباً عن البلدة . واخيراً تمكن من مقابلته وعرض القطع المعدنية عليه . فوضعها المفتش في كفه وتأملها ملياً، ثم حدّق في الراعي الذي قص عليه خبر اكتشافها في احد جبال اقليمه ، وسأله عما اذا كانت رصاصاً .

فأجاب المفتش :

ـ كلا ، هذا ليس رصاصاً .

ـ لعله « زنك » اذن ؟

ـ وليس « زنكاً » كذلك .

فشعر الراعي بأن كل امل قد تلاشى ، ولم يحسّ يوماً انه محطم ، كمد ، كما احسّ وقتئذ .

وسأله المفتش :

ـ هل في اقليمكم كثير من هذا النوع من الحجارة ؟

فاجاب :

ـ لدينا جبل كامل منها !

عندئذ تقدم مفتش المناجم منه، وربّت على كتفه قائلًا :

ـ ارجو ان تستخدموا هـذا المعدن بحيث يعود بالفائدة عليكم وعلى الوطن . إنه فضة !

فردد الراعي وقد اذهله ما سمع :

ـ فضة ! إنه فضة !

وراح المفتش يشرح له الطريقة الواجب اتباعها للحصول على حق شرعي في المنجم ، وزوّده بطائفة من النصائح الثمينة، إلا ان الراعي كان كالمشدوه فلم يعِ شيئاً مما ذكر. كل ما كان يجول في خاطره ان في اقليمه الفقير جبلًا من الفضة ينتظره .

ورفع الملك رأسه بقوة جعلت الراعي يقطع حديثه، وسأله :

ـ اني اعتقد انه عندما عاد ليباشر العمل في المنجم تبيّن له ان المفتش قد سخر منه .

فقال الراعي :

ـ كلا، فالمفتش لم يخدعه .

واستوى الملك في مقعده قائلًا :

ـ يمكنك مواصلة الحديث .

فمضى الراعي يقول :

– فلما عاد الراعي كان اول ما فكّر فيه ان الواجب يقتضيه ان يخبر رفاقه عن قيمة اكتشافهم . وبينا هو مارّ امام نزل ستنّ ستنسون اعتزم الدخول ليزف اليه البشرى. الا انه ما كاد يصل الى الباب حتى ابصر الستائر البيضاء امام النوافذ ، وسحابة من الصنوبر المقطّع ملقاة على الممشى المؤدي الى سلّم الدخول . فسأل صبياً صغيراً يعبث بالقرب من الحاجز :

– من الذي توفي هنا ؟

فاجاب الصبي :

– انه صاحب النزل .

وأخبر الراعي انه لاسبوع خلا وصاحب النزل يعاقر الخمرة كل يوم ... فعاد الراعي يسأل :

– وكيف كان ذلك وهو لم يتعاطَ المسكرات من قبل؟

فأجاب الصبي :

– كان يشرب لأنه كان يدّعي انه عثر على منجم . وكان يردد انه اصبح غنيّاً الى درجة انه لم يعد بحاجة الى غير الشراب. وامس مساء امتطى عربة وهو ثمل ، فانقلبت العربة به ولقي حتفه في الحال .

فلما علم الراعي كل شيء، واصل سيره وقد احزنه ما سمع. فلقد عاد مبتهجاً لمجرد التفكير في نقل ذلك النبأ المدهش

الى رفاقه .

وخطا بضع خطوات فرأى اسرائيلز بير بيرسون يتقدّم نحوه ، وهو عادي المظهر . فسرّ الراعي لأن الثروة لم تسلبه لبّه . فليزفّ اليه البشرى إذن ، فلا ينبغي ان يتباطأ في اسعاده.

قال بير بيرسون :

ـ صباح الخير ، أأنت عائد من فالون ؟

فأجاب الراعي :

ـ أجل ، وقد جئت اخبرك ان كل شيء تمّ على أحسن مما كنّا نتصور . فمفتش المناجم قال لي ان ما وجدنا ليس إلا فضة .

في تلك اللحظة نفسها بدا بير بيرسون وكأن الأرض انشقت امامه ، فصاح :

ـ ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ أهو فضة ؟

ـ أجل ، اننا الآن اغنياء جميعنا ، ويمكننا ان نحيا برخاء ورفاهية !

وردد بير بيرسون مجدداً :

ـ انه فضة !

وبدا عليه أنه حسير جداً .

فأكد الراعي :

ـ طبعاً ، انه فضة ، أوَ تظن أنني ابغي مخادعتك؟ ابتهج

ولا تخشَ بأساً .

فقال بير بيرسون :

– أأبتهج ؟ أأنا أبتهج ؟ لقد ظننت ان ما اكتشفناه لم يكن سوى معدن « الميكا » (حجر لامع ذو صفائح) ، وفضّلت اتباع المثل السائر « عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة » فبعت نصيبي في المنجم من اولوف سفارد لقاء مائة درهم .

وكان يائساً ، فلما غادره الراعي ، بقي في الطريق يبكي وينتحب .

ووصل الراعي الى بيته فأوفد خادمه ليخبر اولوف سفارد وأخاه ان ما اكتشفوه هو فضّة . فقد كفاه ان يذيع بنفسه هذه البشرى .

وفي المساء غلبت السعادة على الراعي في عزلته فخرج تحت جنح الظلام وتسلق الاكمة التي ينوي ان يشيد فوقها بيته الخاص الجديد ، الذي سيضاهي ، ولا ريب ، افخم الدور الاسقفية (المطرانيات) . وقد طال مكوثه في الخارج تلك الليلة ، ولم يكتفِ ببناء البيت . فخطر بباله انه ما دام ذلك الأقليم يملك مثل هذه الثروة الطائلة فان الناس سيتدفقون عليه من كل حدب وصوب . وفي النهاية لا يستبعد ان تبنى مدينة بكاملها حول المنجم . وعندئذ سيضطر الى بناء كنيسة جديدة مكان الكنيسة القديمة . وسيلتهم كل ذلك ، ولا ريب ، قسماً غير قليل من

ثروته. غير انه لم يتوقف عند هذا الحد ، بل كان يقول لنفسه انه عندما يتم بناء الكنيسة سيأتي الملك وعدد من الأساقفة لتكريسها . وسيعجب الملك بها ، ولكنه سيلاحظ ان ليس ثمة مكان في الاقليم يليق باستقباله فيه . لذلك فسيضطر الى بناء بلاط ملكي في المدينة الجديدة .

في تلك اللحظة فتح الباب احد رجال الحاشية واعلن ان العربة الكبيرة تمّ اصلاحها . وكاد الملك يهبّ من مكانه فوراً ولكنه رجع عن رأيه قائلًا :

– اني اسمح لك بمتابعة قصتك ، ولكن عليك ان تسرع قليلًا في سردها . فنحن نعلم الآن ما كان يجول في خاطر ذلك الرجل وما كان يحلم به ، ونريد ان نعلم ماذا فعل .

ومضى الراعي يقول :

– وبينا الراعي في غمرة احلامه هذه اذا بأحدهم يخبره ان اسرائيلز بير بيرسون قد انتحر لانه لم يستطع ان يتحمّل فكرة بيع حصته في المنجم . ولا بد ان يكون قد قال انه لا يقوى على رؤية شخص آخر يتنعم بثروة كانت ستؤول اليه .

بدّل الملك مكانه من المقعد، وقد اتسعت حدقتاه ، وقال :

– أتريد الحقيقة ؟ لو كنت انا مكان هذا الراعي لاستغنيت عن هذا المنجم !

فقال الراعي :

– ان الملك غني، لديه كل ما يحتاج اليه ، على نقيض الراعي الفقير الذي لا يملك شيئاً من حطام الدنيا .

وايقن الراعي ان بركة الله تعالى لا تشمل مشروعه ، فكان يردد : « لن أحلم بعد الآن بأن أصبح غنياً ومحترماً من جراء هذه الكنوز ، ولكنني لا استطيع ترك الفضة في الارض دون ان اجني منها اي فائدة . ينبغي لي ان استخرجها لخير الفقراء والمساكين . سأستثمر المنجم لاوفر للاقليم كله حياة رغيدة . »

وذات يوم جميل يمّم الراعي شطر منزل اولوف سفارد ليتحدث اليه والى أخيه عما ينبغي عمله بجبل الفضة بادىء ذي بدء . ولكنه ما كاد يقترب من منزل الجندي حتى التقى عربة يحيط بها فلاحون مسلحون، وقد جلس فيها رجل كُبّلت يداه وراء ظهره، واوثقت رجلاه بحبل. ومر الراعي فتوقفت العربة، فتسنى له التطلع الى السجين . كان رأسه معصوباً بشكل يصعب معه تمييز ملامحه ومعرفة من هو . إلا ان الراعي اشتبه بأن السجين إنما هو اولوف سفارد . وسمعه يطلب الى خفرائه ان يسمحوا له بتوجيه بضع كلمات الى الراعي . فتقدّم هذا ، واستدار السجين نحوه قائلًا :

– الان أصبحت وحدك تعرف موضع منجم الفضة .

فسأله الراعي :

– ماذا تقول ، يا اولوف ؟

ـ اجل ، فمنذ ان علمنا اننا اكتشفنا جبل فضة تبدّلت الحال بيني وبين شقيقي ، ولم نبقَ صديقين كالسابق ، بل ذرّ الخلاف قرنه بيننا . ومساء امس تشاجرنا حول من اكتشف منا، نحن الخمسة، المنجم اولاً. وما لبثنا ان تشابكنا بالايدي. فقتلته، وجرحني هو بدوره في جبيني. اما انا فسأشنق، وستبقى انت الوحيد الذي يعرف اين هو المنجم . لذلك تراني اطلب اليك أمراً أرجو الا تخيّبني فيه .

فقال الراعي :

ـ قل ما بدا لك ، فسأعمل جهدي لتحقيق رغبتك .

فقال الجندي :

ـ انت تعلم انني اخلّف عائلة كبيرة ...

فقاطعه الراعي على الفور :

ـ يمكنك ان تطمئن من هذه الناحية . فان نصيبك من المنجم سيؤول اليهم كما لو كنت ما تزال حياً ترزق .

فقال اولوف :

ـ لا ، لست اطلب منك ذلك . انني ارجوك الاّ تعطي احداً منهم اي شيء من هذا المنجم !

فتراجع الراعي خطوة الى الوراء وتوقف وقد عقلت الدهشة لسانه . وتابع الجندي السجين كلامه :

ـ اذا انت لم تعدني بذلك فلن اموت مطمئن البال !

فقال الراعي بهدوء وبجهد بالغ :

ـ أجل ، اني اعدك بما تريد !

وسيق القاتل ، ولبث الراعي وحيداً على الطريق يتساءل كيف سيبرّ بالوعد الذي قطعه للسجين. وخلال عودته لم يفكر إلا في هذه الثروة التي اغتبط بها كثيراً ، ولكن سكان اقليمه ، على ما يبدو ، لا يتحمّلونها . أفلم يشاهد بأم عينه كيف هلك اربعة اشخاص كانوا جميعاً من قبل أناساً سليمي الطوية ، اباة ؟ وتراءى له ابناء رعيته جميعاً ، وخُيّل اليه ان منجم الفضة سيقضي عليهم الواحد بعد الآخر. فهل من المناسب ، وقد اوكل اليه امر السهر على نفوس هؤلاء البائسين ، ان يجرّد عليهم ما يهلكهم ؟

وانتفض الملك بغتةً وحدج مخاطبه قائلاً :

ـ الحقيقة ، الحقيقة انك تريد ان تفهمني أن الراعي في هذه المناطق المتأخرة يجب ان يكون حتماً رجلاً فذاً بين الرجال !

ومضى الراعي يقول :

ـ ولم يكفِ ما حدث ، اذ ما كاد خبر هذا الاكتشاف يذيع بين السكان حتى اوقفوا كل نشاط لهم ، وباتوا يقضون اوقاتهم في النزهات والتعطّل ، بانتظار هبوط الثروة عليهم . وتنادى جميع المتشردين في اطراف الاقليم ، ولم يعد الراعي يسمع إلا بالمنازعات الدامية . ونشط قوم الى ذرع الغابة طولاً وعرضاً بحثاً عن المنجم . وأحسّ الراعي انه ما يكاد يبتعد عن

منزله حتى يترقبه البعض ليفاجئوه وهو في طريقه الى المنجم بغية كشف سره .

وما أن بلغت الامور هـذا الحدّ حتى دعا الراعي ابنـاء رعيته الى عقد اجتماع عام ذكّرهم فيه بالمصائب التي جرها عليهم اكتشاف جبل الفضة ، وسألهم عما اذا كانوا يفضّلون الهلاك ، او يفضلون التمسك بخلاص انفسهم . ثم افهمهم انـه ينبغي لهم الا ينتظروا منه، وهو راعيهم ، ان يساهم في هلاكهم الابدي. وقرر ألاّ يبوح الى احد بمكان هذا الجبل ، وألا يحاول الافادة منه شخصياً . فاذا هم اختاروا مواصلة التنقيب عن المنجم دون جدوى وانتظروا هبوط الثروة فانه سيبتعد عنهم لكي لا يطرق مسامعه شيء عن ذلك . اما اذا قرروا صرف النظر عن منجم الفضة لكي يعودوا كما كانوا من قبل، فانه سيبقى بين ظهرانيهم. وختم كلامه بقوله :

– ولكن مهما يكن اختياركم فاذكروا جيـداً انكم لن تسمعوا من فمي اي شيء عن جبل الفضة !

قال الملك :

– حسناً ، وعلامَ عوّل الفلاحون ؟

– لقد كانوا من رأي الراعي . أيقنوا انه يريد لهم الخـير ما دام هو نفسه فضّل البقاء فقيراً من اجلهم . وطلبوا اليه ان يذهب الى الغابـة لتغطية عرق المعدن بالحجـارة والاغصان

المحطمة لكي يختفي عن عيون الجميع : هم وذريتهم من بعدهم.

ـ وهل عاش الراعي هنا بعد ذلك فقيراً كالآخرين ؟

فأجاب الراعي :

ـ اجل ، لقد عاش هنا كالآخرين فقيراً معدماً .

قال الملك :

ـ ولكنه تزوج وشيّد بيتاً خاصاً به .

ـ كلا ، فلم تتوفر له وسائل الزواج الضرورية ، وما يزال يقطن في الكوخ الحقير العتيق .

فحنى الملك رأسه قائلاً :

ـ إنها والله لحكاية جميلة هذه التي رويتها لي .

وظل الراعي ساهماً صامتاً امام الملك الذي مضى يقول بعد لحظات :

ـ هل فكرت في منجم الفضة عندما ذكرت لي ان راعي هذا الاقليم يمكنه ان يقدّم اليّ المال الذي احتاج اليه ؟

فأجابه :

ـ أجل .

فقال الملك :

ـ ولكنني مع ذلك لا استطيع تكبيله بالسلاسل. وكيف تريدني اذن أن احمل رجلاً مثله على ان يرشدني الى طريق المنجم ؟ رجلاً لم يتخلّ عن خطيبته فحسب ، بل زهد في

متاع الدنيا ؟

فقال الراعي :

ـ ذلك أمر آخر . فاذا كان الوطن بحاجة الى هـذا الكنز فانه ولا ريب يستسلم .

فقال الملك :

أوَتضمن لي ذلك ؟

فأجاب الراعي :

ـ أجل ، اضمن ذلك !

ـ ألا تكترث إذن بالمصير الذي ينتظر سكان إقليمك ؟

ـ ليرأف بهم الرب !

ونهض الملك من مكانه واقترب من النافذة ، وجعل يتأمل الجمع المحتشد في الخارج . وبقـدر ما أطال التحديق والتأمل بقدر ما برقت عيناه الواسعتان ، وشعر بكيانه يتسامى . وما لبث ان قال :

ـ يمكنك ان تقول لراعي هذا الاقليم انه ليس ثمـة منظر أجمل ، في عينيّ ملك اسوج ، من منظر أناس كهؤلاء .

ثم استدار نحو الراعي وحدّق فيه ملياً ، وابتسم قائلاً :

ـ هل ان راعي هذا الاقليم من الفقر بحيث انـه ما يكاد يفرغ من القداس حتى ينزع مسوحـــه السوداء ويرتدي بدلها لباس الفلاحين ؟

فكان الجواب :

ـ اجل ، انه فقير معدم !

وعلت وجهه القاسي حمرة الخجل .

وعاد الملك الى النافذة وهو على احسن ما يكون. كل ما كانت تنطوي عليه نفسه من نبيل العواطف قد تنبّه فيه بسبب ما سمع . فقال :

ـ ينبغي ترك هذا المنجم وشأنه. فما دمت قد شقيت طيلة حياتك لجعل سكان هذا الاقليم على الصورة التي تريد ، فيتعيّن عليك أن تحافظ عليهم .

فسأل الراعي :

ـ واذا كان الوطن في خطر ؟

فأجاب الملك :

ـ ان الرجال يخدمون الوطن اكثر من المال !

وما كاد يتلفظ بهـــذه العبارة حتى ودّع الراعي وغادر « السكريستيّا » .

•

في الخارج كان الحشد ساكناً هادئاً، بخيلاً بالكلام كما تركه. وتقدّم من الملك وهو ينحدر على السلّم ، فلاح سأله :

ـ هل رأيت راعينا ؟

فأجاب الملك :

ـ اجل ، وتحدثت اليه .

ـ إذن فإنك ، ولا ريب ، عرفت ردّنا . لقد رجوناك ان تبحث القضية مع راعينا لكي يبلغك هو جوابنا .

فقال الملك :

ـ اجل ، لقد عرفت الجواب !

الرهان

قصة روسية
لانطون تشيخوف

•

هي ليلة من ليالي الخريف المظلمة . وها هو صاحب المصرف العجوز بادي القلق والاضطراب، يذرع قاعة عمله جيئة وذهاباً. خمس عشرة سنة . . خمس عشرة سنة انقضت على تلك السهرة التذكارية . وهو ما يزال يذكرها كما لو كانت ليلة البارحة . كانت من اكثر سهراته نجاحاً ، ضمت نخبة من ذوي العقول الراجحة جعلوا الاحاديث ممتعة شائقة . وقد تناول الجدل عقوبة الموت فكان اكثر الحاضرين معارضين لها، يعتبرونها بالية، منافية للمبادىء المسيحية ، وفاسدة ، والواجب يقضي بابدالها بعقوبة السجن المؤبد .

وتدخّل صاحب المصرف في النقاش فقال :

ـ انا لا اشاطركم رأيكم ! فعقوبة الموت ، في عرفي ، اكثر انسانية لانها تقضي على المرء دفعة واحدة ، بينا السجن المؤبد موت بطيء .

وابدى احد الحضور ملاحظة فقال :

– كلتاهما فاسدتان ، وغايتهما واحدة : ازهاق الروح . فالانسان ليس الله ولا يحق له أخذ ما لم يعط .

واشترك في الحديث محامٍ شاب في منتصف العقد الثالث من العمر ، قائلاً :

– لو خيرت بين عقوبتي الموت والسجن مدى الحياة لما اخترت سوى العقوبة الاخيرة . فالحياة ، وان تكن سيئة بائسة ، افضل كثيراً من الموت .

وسرعان ما دب النشاط والحماسة الى النقاش لدى بروز وجهة النظر الجديدة هذه . واثارت هذه الملاحظة غضب صاحب المصرف الذي خاطب المحامي الشاب بقوله :

– ليس صحيحاً ما تذهب اليه . فانا اراهنك على مليونين من الروبلات انك لا تستطيع البقاء في السجن أكثر من خمسة أعوام .

فكان جواب المحامي :

– اني اقبل بهذا الرهان اذا كنت جاداً فيما تقول ! لن ابقى بالسجن خمسة اعوام بل خمسة عشر عاماً !

– خمسة عشر عاماً ؟ حسناً ! انكم جميعاً ، ايها الحضور ، شاهدون على ذلك .. فقد راهنت بمليونين .

واردف المحامي يقول بكل هدوء :

– انت تغامر بمليونيك ، وانا اغامر بحريتي .

لم يكن صاحب المصرف على علم بثروته الكاملة وكم من الملايين تبلغ ، ومن هنا كان جد مغتبط للرهان الذي عقده . وخلال مأدبة العشاء التي اعقبت السهرة والنقاش لم يدع فرصة تمر الا وسخر فيها من المحامي ، قائلاً :

– اسحب كلامك قبل فوات الاوان . فالمليونان عندي لا يساويان شيئاً . اما انت فانك ستخسر اربع او خمس سنوات من افضل سني شبابك وانضرها . واقول ثلاثاً فقط لانك لن تستطيع ان تتحمل اطول من ذلك . ولا يخفى ان السجن الاختياري اشد ارهاقاً والماً من السجن الاجباري . وستسمّ فكرة استردادك الحرية ، في اي وقت ، كل دقيقة من دقائق وحدتك . حقاً اني ارثي لك !

٥

ها قد مر على ذلك خمس عشرة سنة ... وها هو صاحب المصرف يذرع قاعة عمله طولاً وعرضاً ، نهباً لشتى الهواجس والافكار . لمَ عقدت ذلك الرهان ؟ ما الفائدة التي جنيناها نحن الاثنان ؟ لقد اضاع هو خمس عشرة سنة من عمره ، وسأقذف انا بمليونين . هل برهن ذلك للبشرية ان عقوبة الموت افضل ام اسوأ من عقوبة السجن المؤبد ؟ كلا ، ثم كلا . لقد كان ذلك العمل ، من جهتي انا ، شذوذ رجل ابطرته الثروة ؛ وكان ، من جهة المحامي ، حباً بالمال !

في صبيحة تلك السهرة الشهيرة هبط المحامي احدى الدور الصغيرة المبنية في حديقة صاحب المصرف الفسيحة ، حيث قضى خمس عشرة سنة لم يتخطَّ عتبة الباب ، ولم تقع عيناه على مخلوق بشري ، ولم يُسمح له بتلقي اي رسائل او صحف . على انه كان يحق له التمتع ببيانو ، وبمطالعة الكتب ، وتحبير الرسائل ، واحتساء الخمر ، والتدخين . اما صلته الوحيدة بالعالم الخارجي فكانت نافذة محددة بقضبان اشبه بتلك التي نجدها في السجون . وكان عليه ان يطلب حاجاته بواسطة بطاقات يكتبها . ويكفي نقض شرط من هذه الشروط — حتى لو تم ذلك قبل انتهاء المدة كلها بدقيقتين اثنتين — لان يحلَّ صاحب المصرف من وعده .

تبيّن من البطاقات التي دوّنها المحامي السجين خلال السنة الاولى انه تألم كثيراً من عزلته . فقد قضى وقته جميعاً يعزف على البيانو . وكان يرفض شرب الخمر او التدخين . ومما كتبه « ان الخمر يثير الانسان ، والاثارة ألد اعداء الوحيد المنعزل عن الدنيا ، اما التبغ فانه يفسد الهواء . »

اما الكتب التي طلبها لمطالعتها فكانت جلها كتب مغامرات .

في السنة الثانية لم يُسمع اي عزف على البيانو ، واقتصرت طلبات السجين على الكتب الكلاسيكية دون سواها .

وفي السنة الخامسة عادت الموسيقى تنبعث من السجن ، وطلب المحامي خمراً . وقد ادّعى الذين كانوا يراقبونه من خلال

النافذة انه قضى سنة بطولها يحتسي الخمر ويأكل ويستلقي على المقعد الطويل . وكان دائم التثاؤب ، وفي بعض الاحايين كان يقضي لياليه في الكتابة لينهض في الفجر فيمزق كل ما حبّره . وكان يُسمع له نحيب وشهيق .

وحلت السنة السابعة فاذا هو يبدأ بتعلم اللغات ، وقد أكب على ذلك بشغف ونهم وشوق ، حتى ان صاحب المصرف كان يجد صعوبة في تدبير الكتب اللازمة له . وفي غضون اربعة أعوام كان قد التهم ستمئة مجلد . وما ان تصرمت هذه الفترة حتى كتب يقول :

« سجاني العزيز !

« اني مرسل اليك هذه الاسطر في ست لغات مختلفة ، فاحملها الى قديرين مشهود لهم بالذكاء ومعرفة اللغات ، فاذا لم يقعوا فيها على اي غلطة اتوسل اليك ان تطلق رصاصة من مسدسك فأفهم ان جهودي لم تذهب ادراج الرياح . ان عباقرة العصور والبلدان جميعاً يتكلمون لغات متنوعة ، ولدى الجميع تضطرم الشعلة نفسها . آه ، لو كان في وسعك معرفة الغبطة التي احسها في قرارة نفسي لفهمي لغاتهم ! »

واجيب السجين الى طلبه ، وأصدر صاحب المصرف الامر باطلاق النار .

بعد انقضاء عشر سنين على سجن المحامي عكف هذا الاخير

على دراسة الكتاب المقدس . ثم استهوته مطالعة تاريخ الاديان. وخلال سنوات سجنه الاخيرة قرأ كثيراً ودون نظام ، فكان ينتقل من العلوم الطبيعية الى اشعار شيلر، ومن المؤلفات الطبية الى الرسائل الفلسفية ، فكان اشبه بالغريق يحاول التمسك بأي شيء فيه نجاته .

•

وضجت الافكار في رأس صاحب المصرف ، فقال لنفسه :

— غداً ظهراً ستعود الى السجين حريته ، وسأضطر الى ان أدفع له مبلغ المليونين ، وفي ذلك خرابي التام .

فمنذ خمس عشرة سنة لم يكن هذا المبلغ ليساوي شيئاً في نظره ، اما اليوم فلا يدري ما اذا كانت ثروته كلها قمينة بتسديد ديونه جميعها . فالمضاربات والمقامرة قد استنفدت امواله الطائلة، ولم يبق ذلـــك الثري المتعجرف سوى صاحب مصرف عادي يضطرب اضطراباً مخيفاً لدى تقلبات البورصة .

•

ودقت الساعة الثالثة صباحاً، وكان الصمت مخيماً على ارجاء المنزل ، فخرج صاحب المصرف العجوز الى الحديقة بكل تؤدة وسكون في ذلك الظلام الدامس والبرد القارس ، وراح يتقدم وسط الرياح الهوج نحو السجن بلا تردد ، ونادى الحارس فلم يجبه أحد . فأستبشر خيراً وقال بينه وبين نفسه :

– حسناً ، فاذا ما قتلته تحوم الشبهات حول الحارس !

وبيد مرتعشة ادخل المفتاح في ثقب الباب الصدىء ، وما لبث الباب ان فتح محدثاً صوتاً خفيفاً ، وكان ينتظر سماع صيحة دهشة او وقع خطى . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وما هي الا ثلاث دقائق حتى قرر الدخول .

وكان السجين يجلس الى منضدته وقد راح في سبات عميق . وهو اشبه بهيكل عظمي يغطيه الجلد، طويل اللحية اشعثها، يخفي رأسه شعر طويل كشعر النساء الجعد . اما لونه فكان أصفر ضارباً الى الخضرة ، وكانت يده التي يسند اليها رأسه شديدة الهزال . ويكاد الناظر الى وجهه المهدم لا يصدق انه امام رجل في العقد الرابع .

ولمح صاحب المصرف قصاصة ورق ملقاة على الطاولة سوّدها السجين بخطه الدقيق ، فقرأ فيها بشغف ما يلي :

« ظهر الغد استعيد حريتي . ولكن قبل مغادرتي هذه الحجرة ورؤية الشمس اود ان اقول لك بعض الكلمات .

« اني اعلن امام الله الذي يراني انني ازدري الحرية، والحياة، والصحة وكل ما يسمونه في كتبك سعادة .

« لقد اشرفت على الحياة الانسانية خلال خمس عشرة سنة . صحيح انني لم ارَ ارضاً ولا بشراً ، الا انني تنشقت في كتبك عطر الفرح ، وانشدت الاغاني وتنزهت في الغابات ، واحببت

نساء فاتنات ، كن يزرنني ليلاً ويهمسن في اذنيَّ كلمات رائعة تسكرني . في كتبك تسلقت الجبال حيث كنت استمتع ببزوغ الفجر وغروب الشمس . ومن هناك ابصرت الاحراج الخضراء والسهول والانهار والمدن ، وتناهت الى سمعي اغاني الحوريات . في كتبك قفزت في المهاوى ، واجترحت العجائب . قتلت ، وأحرقت المدن . كنت بطلاً ..

« ان كتبك منحتني الحكمة . وكل ما خلقته الادمغة البشرية التي لا تعرف الملل خلال الاجيال تراه في رأسي ، في مساحة لا تتجاوز بضعة سنتمترات .. واني اشد ذكاء منكم جميعاً .

« احتقرتُ حكمتك ، فكل شيء لديك زائف كالسراب . فقدتَ صوابك وضللت السبيل السوي . حسبت الكذب صدقاً وتوهمت ان القبح جمال .

« ولكي ابرهن لك عن احتقاري هذا تراني اتخلى عن المليونين اللذين يستحقان لي واللذين يسعى اليهما الجميع سعيهم الى الجنة . »

وختمت الرسالة بالعبارة التالية :

« لقد قررت ان اغادر سجني قبل انصرام الخمس عشرة سنة بدقيقتين اثنتين كي احول بيني وبين الحصول على هذا المبلغ ! »

الجرح الخفي

قصة مجرية
لكارولي كسفالودي

•

في صباح يوم باكر ، وقبل ان يصحو الجرّاح الشهير من النوم ، جاءَه زبون مستعجل ألحّ في مقابلته قائلاً ان حالته لا تحتمل التأجيل دقيقة واحدة . فارتدى الجراح ثيابه بسرعة ورنّ الجرس طالباً اليه الخادم وقال له :

– دع المريض يدخل .

وكان الداخل يبدو انه ينتمي الى افضل طبقات المجتمع ، يمّ وجهه الشاحب وتصرّفه العصبي عن الالم الجسماني الذي يعانيه ، وقد وضع ذراعه اليمنى في حمّالة. ومع انه كان يستطيع ضبط مشاعره إلا انه كان يئن ويتأوه بين الفينة والفينة .

قال الطبيب :

– تفضّل اجلس . ماذا يمكنني ان افعل من اجلك ؟

فأجاب :

– لم استطع النوم منذ اسبوع ، فيدي اليمنى تؤلمني ولا أعرف ما السبب . فربما كان ذلك سرطاناً او اي داء خبيث آخر .

فبادىء ذي بدء لم تزعجني كثيراً ، ولكنها في الآونة الاخيرة بدأت تتّقد اتقاداً . ومذ ذاك لم ارتح دقيقة واحدة . انها تؤلمني جداً ، ويتضاعف هذا الالم كل ساعة بحيث يصبح مبرحاً لا يطاق . وقد هبطت المدينة لاستشيرك . واذا كان عليّ ان اتحمّل هذا الالم ساعة اخرى فسأجنّ . اريدك إما أن تحرقها او تقطعها ، او تفعل بها ما تشاء .

فطمأن الجرّاح المريض قائلاً له ان العملية الجراحية ربما كانت غير ضرورية .

فقال الرجل بالحاح :

— لا ، لا . ينبغي اجراء عملية . وقد جئت خصيصاً لبتر الجزء المصاب . فليس ثمة شيء آخر يفيد .

واخرج يده من الحمالة بعد جهد كبير واردف :

— ينبغي لي ان الفت نظرك الى انه لا مجال للدهشة اذا لم ترَ اي جرح ظاهر في يدي . فالقضية غير عادية .

فأفهمه الطبيب انه لم يعتد ان يستغرب اموراً غير عادية . ومع ذلك ، وبعد ان امعن النظر في اليد ، تركها وهو شديد الدهشة لانه لم يبدُ له انها مصابة . فهي كاليد اليسرى تماماً ، حتى في لونها . إلا انه كان واضحاً ان الرجل يتألم ألماً شديداً . ذلك بأن الطريقة التي امسك بها يده اليمنى باليسرى عندما أفلتها الطبيب دلّت على ذلك دلالة حاسمة .

وسأله الطبيب :

ـ اين موضع الألم ؟

فأشار الرجل الى نقطة مستديرة بين العرقين العريضين ، ولكنه سحب يده بسرعة عندما لمس الطبيب بكل توءدة هذه النقطة بطرف اصبعه .

ـ اهذا هو موضع الالم ؟

ـ اجل ، انه لألم شديد !

ـ اتشعر بالضغط عندما أضع اصبعي عليه ؟

فما استطاع الرجل الجواب ، غير ان الدموع التي ترقرقت في عينيه تكفلت بذلك .

ـ غريب امرك . فأنا لا ارى شيئاً .

ـ ولا انا ، ولكن الألم موجود ، وافضّل الموت على البقاء على هذه الحال .

وأعاد الجرّاح فحص اليد من جديد بالمجهر ، ثم قاس حرارة الرجل ، واخيراً هزّ رأسه قائلًا :

ـ الجلد صحيح ، والشرايين طبيعية ، وليس ثمة اي التهاب او ورم . انها يد طبيعية كسائر الايدي .

ـ اعتقد انها حمراء قليلًا عند البقعة .

ـ اين ؟

فرسم الرجل الغريب دائرة صغيرة على ظاهر يده قائلًا :

– هنا .

ونظر الطبيب اليه ، وبات يعتقد انه يخاطب شخصاً به مسّ . فقال :

– عليك ان تبقى في المدينة وسأحاول ان اساعدك في الأيام القليلة المقبلة .

– لست استطيع الانتظار دقيقة واحدة . لا تظن ، ايها الطبيب ، انني مجنون ، او تحت تأثير الخداع . فهذا الجرح الخفي يؤلمني كثيراً، وكل ما اطلب اليك صنعه ان تعمل مبضعك في موضع الالم حتى تلامس العظام .

– لن افعل ذلك، يا سيدي .

– لماذا ؟

– لأن يدك سليمة ، لا فرق بينها وبين يدي .

واخرج الرجل من حافظة نقوده ورقة بألف فلورين وضعها على المنضدة وقال :

– يبدو انك تعتقد انني مجنون ، او انني احاول خداعك . فأنا ، كما ترى ، جادّ غير هازل . والقضية من الخطورة بالنسبة إليّ بحيث ادفع لقاءها ألف فلورين . فالرجاء اجراء العملية .

– لو عرضت عليّ كل مال الدنيا لما لمست عضواً سليماً بالمبضع .

– لماذا ؟

– لأن ذلك مخالف لآداب المهنة . فالجميع سيدعونك مغفلاً ويتهمونني باستغلال ضعفك ، او يصرحون بأنني عاجز عن تشخيص جرح لا وجود له .

– حسناً، ايها السيد، فسأطلب اليك، اذن، خدمة اخرى. سأقوم انا بالعملية بالرغم من أن يدي اليسرى خرقاء في امور مماثلة . وكل ما أرجوه منك ان تعنى بالجرح بعد اجراء العملية.

أيقن الجرّاح ، دهشاً ، ان الرجل جادّ كل الجدّ . وقد رآه يخلع رداءه ، ويرفع كمّ قميصه الى أعلى الذراع . ثم رآه يتناول مديته الصغيرة من جيبه . وقبل ان يتمكن الطبيب من التدخل كان قد شقّ يده شقّاً عميقاً . فصاح به خوفاً من ان يقطع عرقاً من عروق يده :

– قف ! ما دمت تعتقد ان العملية واجبة فسأقوم انا بها .

واعدّ العدة للعملية . فلما أراد ان يبضع اليد أشار على الرجل بأن يدير رأسه لأن الكثيرين يتأثرون عادة عند رؤية دمائهم تسيل .

فقال الرجل :

– لا داعي لذلك. عليّ أن أرشدك الى اي عمق ينبغي لك ان تصل بمبضعك .

احتمل الغريب هذه العملية دون أن يبالي بالألم ، وقد عاون الطبيب معاونة فعّالة بارشاداته، ولم ترتجف يده . فلمّا

ازيلت البقعة المستديرة تنفّس الرجل الصعداء، كما لو أن حملاً ثقيلاً أُزيح عن كاهله .

فسأله الجرّاح :

– ألا تشعر بأي ألم الآن ؟

فأجاب مبتسماً :

– كلا، ابداً. إنني أشعر كما لو ان الألم قد قُطع. والالتهاب البسيط من جراء العملية يبدو كأنه نسيم بليل بعد هبّة حارة . دع الدم يسيل ، ان ذلك يسرّني عني .

وضمد الجرح ، فبدا الغريب مغتبطاً راضياً . لقد تبدّل . وقد شدّ يد الطبيب بيده اليسرى شاكراً ، قائلاً :

– انني مدين لك حقاً !

زار الطبيب المريض في فندقه بضع مرات عقب العملية ، وبات يحترمه بعد أن عرف انه يحتل مركزاً مرموقاً في البلاد ، وأنه رجل متعلم مثقف ، ينتمي الى عائلة من ابرز العائلات .

والتأم الجرح ، فعاد الغريب الى منزله في القرية .

•

وانقضت ثلاثة اسابيع عاد بعدها هذا الرجل المريض الى عيادة الجرّاح ، يده في الحمالة ، وهو يشكو من الألم المبرّح في البقعة نفسها التي كان يتألم منها قبل العملية . وكان شاحب الوجه ، يتفصّد جبينه عرقاً بارداً . وتهالك على احد المقاعد ،

ومدّ يـــده اليمنى الى الطبيب دون ان ينبس ببنت شفة .
فسأله الطبيب :

ـ ماذا جرى ؟

فتأوه الرجل قائلًا :

ـ لم تتعمق في البضـع ، فعاودني الألم اكـثر شدة من ذي قبل . ولم اشأ ان ازعجك مرة ثانية فاحتملته ، ولكنني لا استطيع احتماله اطول من ذلك . فاجرِ عملية اخرى .

وفحص الجرّاح البقعة مليّاً فألفى جرح العملية قد التأم ، وكساه الجلد الجديد . ولم يكن هناك اي مساس بالعروق. اما النبض فكان طبيعياً ، وكذلك الحرارة، ومع ذلك كان الرجل يرتجف . فقال الطبيب :

ـ أنا لم أرَ شيئاً مماثلًا من قبل .

كان محتماً اجراء عملية جديدة. وجرى كل شيء مثل المرة الأولى ، فزال الألم . ومع ان المريض أحسّ براحة عظمى ، إلا انه لم يتبسم هذه المرة ، ولما شكر الطبيب فعـل ذلك وهو حزين كئيب . وقال وهو ينصرف :

ـ لا تدهشنّ اذا عدت اليك بعد شهر .

ـ لا تفكر في ذلك .

ـ ان ذلك مؤكد كوجود الله في السماء . الى اللقاء .

وتناقش الجراح وزملاء له عديدين في هذه القضية ، فأبدى

كل منهم وجهة نظر تختلف عن الأخرى . ولم يستطع واحد منهم تقديم ايضاح مقنع .

وانقضى شهر دون ان يطل المريض ، وتلته اسابيع قليلة. وبدلاً من ان يأتي بنفسه ، جاءت منه رسالة . ففضها الجراح بشوق معتقداً ان الالم لم يعاوده . وهذا ما جاء فيها :

« عزيزي الطبيب ،

« أنا لا اريد ان ادعك في شك من حيث منشأ قلقي واضطرابي، ولا يهمني حمل سره الى قبري او اي مكان آخر. وأود ان اطلعك على تاريخ علتي الرهيبة . فقد عاودتني ثلاثاً حتى الآن ، ولا انوي متابعة مكافحتها أطول من ذلك . وقد تمكنت من كتابة هذه الرسالة بعد ان وضعت جمرة على البقعة التي تؤلمني لتكون بمثابة ترياق ضد اللهب الجهنمي الذي يحرقها من الداخل .

« لستة شهور خلت كنت رجلاً سعيداً . غنياً وقنوعاً . وكنت اجد غبطة في كل ما يحلو لرجل في الخامسة والثلاثين. تزوجت منذ سنة زواج حب ، وكانت زوجتي فتاة حسناء ، لطيفة ، مثقفة . وكانت مرافقة لكونتيس تقيم غير بعيدة عن املاكي. كانت تحبّني، وكان قلبها يطفح بالشكر وعرفان الجميل. ومضى الوقت سعيداً خلال ستة اشهر ، فكان كل يوم يجلب لنا سعادة اوفر من سابقه . كانت تقطع الاميال الطويلة سيراً على

قدميها لتلاقيني لدى عودتي من المدينة . ولم تكن لتقيم في قصر سيدتها السابقة التي كانت تزورها غالباً، اكثر من بضع ساعات. كان شوقها اليّ يزعج الكثيرين. فلم تكن لتراقص احداً غيري، وكانت تعتبر جريمةً مجرد ان تحلم بسواي في اثناء الرقاد. لقد كانت طفلة رائعة طاهرة !

« لست ادري كيف تسرّب الى ظني ان كل ذلك ما هو سوى ادعاء وتظاهر . فالمرء من الجنون بحيث يبحث عن الشقاء وسط سعادته الكبرى .

« كان عندها منضدة صغيرة للخياطة، تحتفظ بدرجها مقفلاً دائماً. ان ذلك بدأ يعذبني . وقد لاحظت مراراً انها لا تترك المفتاح في الدرج ، ولا تدعه يوماً مفتوحاً . فماذا كانت تخبّىء فيه ؟ واصبحت مجنوناً من فرط الغيرة . ولم اعد اصدق نظراتها البريئة ، وقبلاتها ، وملاطفاتها وتوددها . فلربما كان ذلك كله خداعاً متصنعاً .

« وذات مرة اقبلت الكونتيس تدعوها الى قصرها، واقنعتها بقضاء اليوم كله معها . فوعدتهما بأن اتبعهما بعد الظهر . وما كادت العربة تتحرك مغادرة الحديقة حتى اخذت اعالج منضدة الخياطة. وتوصلت اخيراً الى فتح الدرج بأحد المفاتيح التي جربتها. ونقّبت قليلاً بين محتويات الدرج النسائية فعثرت على كدسة رسائل تحت مطوى حريري . لقد كانت ولا ريب رسائل غرامية

مشدودة بشريط قرنفلي اللون .

« لم أفكر مطلقاً بأن من العار ارتكاب مثل هذا العمل — الاطلاع على اسرار زوجتي في صباها ! فقد كان هناك دافع يدفعني للمضي . فمـــن يدري ، ربما كانت هذه الرسائل خاصة بعهد متأخر — منـذ ان حملت اسمي ؟ وحللت الشريط ، ورحت أتلو الرسالة بعد الرسالة .

« كانت تلك أتعس ساعة في حيـــاتي ! فقد أظهرت تلك الرسائل افظع خيانة لا تغتفر يمكن ان ترتكب بحق رجـل . فقد كتبها أحد أصدقائي الحميمين . ولهجتها... إنها تفصح عن صداقة متينة وعاطفة عميقة . كم حثّها على كتمان السر ! وماذا قال عن الازواج المغفلين ! وكيف علّمها ماذا يجب ان تفعل لتبقي زوجها جاهلاً كل شيء ! إن كل رسالة منها كُتبت بعـد زواجنا . وقد كنت أعتقد انني سعيد ! لست أريد ان أصف لك مشاعري . فقد جرعت كأس السمّ حتى الثمالة . ثم طويت الرسائل كما كانت واعدتها الى مخبأها ، وأقفلت الدرج .

« وأيقنت انني اذا لم أوافِ زوجتي الى قصر الكونتيس فانها ستعود في المساء . وهـذا ما حدث تماماً . فقـد ترجّلت من العربة لدى وصولها وهي تطير فرحاً ، وسارعت الى لقـائي في الرواق ، وعانقتـني برقة وحنان فائقين . فـلم أتظاهر بأي امتعاض .

«وثرثرنا قليلاً ، وتناولنا طعام العشاء معاً ، ثم ذهب كل منا الى سريره كالمعتاد ، ولكل منا غرفته الخاصة . وكنت قد اعتزمت خطة سأنفذها بعناد من أصيب بمسّ . وقلت بيني وبين نفسي وأنا أدخل غرفتها في منتصف الليل وأرى وجهها البريء وهي مستغرقة في النوم : «ما أشد خداع الطبيعة اذ تمنح الخطيئة هذا الوجه الصبوح !» وكان السم قد فعل فعله في نفسي فتأكل كل عرق من عروق جسدي . ووضعت يدي اليمنى بهدوء حول عنقها وضغطت عليها بكل قوتي . وفتحت عينيها لحظة واحدة وحدّقت بي مذهولة ، ثم اغمضتهما وماتت. لم تدافع عن نفسها ، بل ماتت بهدوء كما لو كانت في حلم . ولم تحمل ضغينة او حقداً عليّ حتى لقتلها . ونضحت نقطة دم من بين شفتيها ولطخت يدي – انك تذكر البقعة . ولم أرها إلاّ في الصباح بعد أن جفّت. ودفنّاها دون لغط او جلبة. وكنت أعيش في الريف حيث لا سلطة تتولى التحقيق . وفضلاً عن ذلك لم يكن احد ليعتقد ان في القضية امراً ، والمرأة زوجتي .

«ولم يكن لها اشقاء او معارف ، ولم يكن هناك اي اسئلة تتطلب اجوبة . وقد تعمّدت اذاعة نعيّها بعد الدفن للتخلص من مضايقات الناس .

«لم أشعر بتوبيخ الضمير . كنت قاسياً حقاً ، ولكنها استحقت ذلك. ولم اكن لاكرهها، وبوسعي ان أنساها بسهولة،

وليس ثمة قاتل ارتكب فعلته بمثل اللامبالاة التي ارتكبت بها فعلتي .

« ولما وصلت الى البيت ألفيت الكونتيس بانتظاري . فقد تأخرت عن موعد الدفن كما اعتقدت . وكانت متوترة الاعصاب، أذهلها الرعب والنبأ غير المنتظر . وتحدثت باسلوب غريب فلم أفهمها وهي تحاول تعزيتي . والحقيقة انني لم أُصغِ اليها بانتباه لأنني لم اكن بحاجة الى اي تعزية . وما لبثت أن أخذت يدي بعطف قائلة إنها ستأتمنني على سرّ ، راجية ألا أستثمره .

« قالت إنها استودعت زوجتي الراحلة كدسة رسائل لم يكن ممكناً الاحتفاظ بها في منزلها نظراً لصبغتها الخاصة، وسألتني عما اذا كنت استطيع اعادتها اليها. فاحسست وانا استمع اليها برعشة تسري في جسدي، وتظاهرت بالهدوء وسألتها ما تتضمن هذه الرسائل . فارتعدت لدى هذا السؤال وقالت :

« — لقد كانت زوجتك امرأة مخلصة امينة اكثر من اي امرأة اخرى عرفتها . فلم تسألني ماذا تتضمن ، حتى انها اقسمت لي بشرفها ألا تحاول معرفة محتوياتها .

« — واين كانت تحتفظ برسائلك ؟

« — قالت انها تحتفظ بها في درج منضدة الخياطة المقفل ابداً، وهي مربوطة بشريط قرنفلي . ويمكنك معرفتها بيسر ، وعددها ثلاثون رسالة .

«وقدتها الى الحجرة التي تقوم فيها منضدة الخياطة ، وفتحت الدرج ، وتناولت الكدسة وقدمتها اليها قائلاً :

« — أهذه هي رسائلك ؟

«فمدّت يدها بشوق زائد لتناولها . ولم أجرؤ على رفع عينيّ خوفاً من أن تقرأ فيهما شيئاً . ولم تطل المقام ، فانصرفت .

«بعد اسبوع واحد من الدفن انتابني ألم مبرّح في البقعة التي لطختها نقطة الدم في تلك الليلة الرهيبة . أما الباقي فتعلمه . أنا واثق تماماً ان كل ذلك ليس سوى إيحاء ذاتي ، إلا أنني لا استطيع التخلص منه . إنه عقابي لتسرعي وقسوتي في زهق روح فتاة بريئة محبة ، ولن احاول بعد اليوم المكافحة . فسألتحق بها وأحاول أن انال عفوها . وستعفو عني ، ولا ريب ، وستحبني كما احبتني عندما كانت حية ترزق . فشكراً لك ، ايها الطبيب ، على كل ما فعلته من اجلي . »

قشاشة الكراسي

قصة فرنسية

لغي دو موباسان

•

فرغ المدعوون والمدعوات من تناول طعام الغداء الذي أدبه المركيز دي بيرتران في قصره الريفي الفخم لمناسبة انتهاء فصل الصيف. وقد جلس حول المائدة الكبيرة أحد عشر صياداً، وثماني نسوة في مقتبل العمر، وطبيب المنطقة. وظهرت المائدة عامرة بالشموع الملونة والزهور اليانعة على مختلف انواعها.

كان مدار حديثهم الحب، وسرعان ما جرّ ذلك الى حوار لذيذ، طويل، متشعب الاطراف، وجدال لا نهاية له. كان السؤال: «هل في وسع المرء ان يحب شخصاً حباً حقيقاً اكثر من مرة؟» فتضاربت الآراء واختلفت النظريات، ولكل ادلة تدحض رأي سواه ... ولكن هل لهـــذا السؤال حقاً من جواب قاطع؟

ضُرِبَ مثل الذين أحبوا حباً صادقاً مرة واحدة في حياتهم فما حادوا عنه قيد أنملة، كما ضُرب مثل الذين لم يكتفوا بهـذا النوع من الحب، بل أحبوا كثيراً، أحبوا بعنف ... فقال

الحاضرون من الرجال : ان الحب كالمرض ، يصيب المرء نفسه اكثر من مرة ، وكثيراً ما يصيب منه مقتلاً حين يكون هناك حجر عثرة في سبيله . أما رأي النساء ، اللواتي ترتكز نظريتهن في الحب على الشعر والخيال ، لا على الاختبار او الواقع ، فقد اكّدن ان الحب – لا سيما الحب الحقيقي الطاهر – لا تصيب سهامه الانسان الا مرة في حياته . كذلك اكّدن ان وقعه كوقع الصاعقة ، حتى ان القلب الذي يرتمي فريسة لمثل هذا الحب يبقى فارغاً محطماً فتصبح ايّة عاطفة مهما قويت عاجزة عن تفتيح الحياة فيه من جديد ... عندئذ انبرى المركيز الذي كانت له وقائع صعبة في حومة الحب والغرام ، ليبيّن وجه الخطأ في نظرة النساء ، فقال :

– اني اؤكد للجميع ان المرء باستطاعته ان يقع في شباك الحب اكثر من مرة ، وان يعشق بملء جوارحه . وقد ذكرتن لي مثلاً عن اناس صرعهم الحب برهاناً قاطعاً على استحالة ما ذهب اليه زملائي . اما جوابي على مثل هذه الامثال فهو ان اولئك الذين قتلهم الحب ، لو لم يلجأوا الى الانتحار الذي حال بينهم وبين الحب مرة اخرى لكانوا اعادوا الكرة وجربوا حباً ثانياً وثالثاً ... حتى يغادروا هذه الدنيا . وليست تختلف حال المحبين عن حال السكارى ... فمن شرب فلسوف يشرب ، ومن احب فلسوف يحب ، حتماً . وما المسألة في رأيي الا مسألة مزاج ، وكفى!

وهنا التفت الجميع الى الطبيب الباريسي العجوز الذي يعيش في الريف ، وطلبوا منه الادلاء برأيه في ما سمع من نظريات .

ولم يكن له في الحقيقة رأي خاص في المسألة، ولكنه قال :

ـ اكبر الظن ان القضية قضية مزاج كما اشار صديقي المركيز . وللمناسبة اذكر لكم انه اتيح لي الاطلاع على حب بين شخصين استمر خمسة وخمسين عاماً دون ما فتور ، ثم لم ينته الا بسهم الموت الذي سُدد اليه فأرداه قتيلاً . فضربت المركيزة كفاً بكفّ ، وقد علا البشر محياها . قالت :

ـ ما رأيكم في هذا الحب ؟ ماذا تأخذون على هذا النوع من الحب الحقيقي ؟ حقاً ان المحبوب كان من اسعد المخلوقات لانه حظي بعبادة متواصلة مدى خمس وخمسين سنة !

فانفرجت شفتا الطبيب عن ابتسامة رقيقة ، وقال :

ـ أجل، يا سيدتي، هذا هو الواقع ... ولم يكن المحبوب سوى الرجل... ولا شك انك تعرفينه. هو الصيدلي «شُوكه» الذي يقيم في هذه القرية . أما المرأة فهي قشاشة الكراسي العجوز التي كانت تمر من هنا وتعرّج على القصر في كل سنة . ولكني سأجعل نفسي اكثر وضوحاً اذا اصغيتم الي .

فظهرت على وجوه النسوة علائم الامتعاض والتأفف ، كأن الحب مقصورٌ على طبقة من الناس دون اخرى ! فالطبقة الدنيا

في عرفهن لا تستحق اهميـــة التحدث عنها اذا اصابتها سهام كوبيدون ، إله الحب ، كما تصيب الطبقة العليا ...

قال الطبيب :

ـ دعيت منذ ثلاثة اشهر لاعاين هذه المرأة العجوز وهي في حالة النزع الاخير على فراش الموت . كانت قـد وصلت الى القرية قبل ذلك بيوم ، في العربة التي تسكن فيها ـ عربة تجرها فرس شقراء . وكان يرافقها كلباهـــا الاسودان الكبيران ، صديقاها وحارساها الاميناں . ألفيت الكاهن الى جانبهـا . فراحت تملي علينا وصيتها الاخيرة، وتقص قصة حياتها، واشهد اني لم اسمع مثل هذه القصة من قبل ...

كان والداها يشتغلان بتقشيش الكراسي ، فلم تعرف لها في يوم من الايام مقراً ثابتاً . كانت حياة العائلة اشبـه شيء بحياة البدو يضربون في بقاع الارض، حيناً هنا وحيناً هناك .

وهكذا شبّت في الاسمال، تتنقل مع والديها في العربة من قرية الى قرية ، حارسهم كلبهم ، يحطون الرحال في احـــدى القرى ويفكون العربـــة فتهيم الفرس في السهل تأكل العشب الاخضر ، وينام الكلب ملقياً رأسه بين قائمتيه الاماميتين، بينا تأخذ البنت الصغيرة باللعب مغادرة اباها وامها يصلحان ويقششان كراسي المنطقة البالية في ظل شجرة وارفة الاغصان . وكثيراً ما كانت الصغيرة تبتعد عن المكان او تحاول التحرش بصغـار

الصبية المارين من هناك فيعلو صوت ابيها منتهراً اياها بالرجوع.

وشبّت الفتاة فطفق والدها يبعث بها الى البيوت تجمع له الكراسي العتيقة لاصلاحها . فأتاح لها هذا العمل ان تتعرف الى بعض الصبية في هذه القرية او تلك .. لكن اهل هؤلاء الصبية اصبحوا الآن ينادون اولادهم وينتهرونهم لانهم يلعبون مع هذه الفتاة الحافية القدمين ! ..

وكثيراً ما كان الصبية يرشقونها بالحجارة ، بينما تجود عليها النساء من وقت الى آخر ببعض القطع النقدية، فتحفظها الفتاة في جيبها بحرص وعناية .

وفي ذات يوم—وقد اصبح لها من العمر احد عشر ربيعاً— اقبلت الى هذه القرية . مرّت بالقرب من المقبرة ، فوقع نظرها على صبي صغير يبكي ويشهق عالياً ، لان واحداً من رفاقه سلبه قطعة من نقود . وكان هذا الصبي « شُوكه » ... فاحزنها المشهد . تأثرت له في صميمها ، هي البنية المحرومة ، وآلمها أن ترى دموع هذا الصغير تنحدر من عينيه على وجهه بهذه الغزارة . فاقتربت منه ، وسألته عن سبب بكائه ، فأخبرها . عندئذ افرغت في يده كل ما كانت قد جمعت من نقود حتى الساعة . فلم يمتنع الصغير ، ومسح عينيه بطرف كمه. فتملكها سرور عظيم اذ رأت الصغير مسروراً قد فارقت الدمعة عينيه. وطوقته وطبعت على خده قبلة طويلة حارة. اما الصبي فكان منهمكا في عدّ النقود التي أعطته

إياها ، أو قلْ : لم ينتبه للقبلة . فلما لم تجد الفتاة ممانعة منه ، راحت تشبعه ضماً وتقبيلاً حتى اذا ارتوت لاذت بالفرار من حيث أتت ...

لكن ما الذي خطر على بال هذه الفتاة المسكينة ؟ أتعلقت حقاً بهذا المخلوق الصغير لانها ضحت من أجله كل ثروتها ، أم لانها منحته القبلة الاولى من قبلاتها الطريئة الدافئة الساذجة ؟ الواقع ان السر في هذا الامر هو السر نفسه ، على السواء ، عند الصغار والكبار .

...ظلت الفتاة تحلم بذلك الركن من المقبرة حيث صادفت الصبي ينتحب للمرة الاولى منذ شهور . كانت تذوب شوقاً الى رؤيته فتجمع النقود كيفما تيسرت لها : تستغل والدها فتسرق بعض القطع النقدية، او تذهب الى السوق لشراء بعض الحاجات فتستبقي معها قطعة او قطعتين من النقود ، وهُلمَّ ...

وعادت الى القرية وفي جيبها فرنكان ، الا انها رأت الصبي هذه المرة بثياب نظيفة ، جالساً وراء واجهة صيدلية ابيه ... فلم تزدها رؤيته على هذه الهيئة الا حباً له وافتتاناً به . وطبعت هذه الزيارة في نفسها ذكرى لا تمحوها الايام . فلما عادت الى القرية في السنة التالية وجدته يلعب مع أترابه خارج المدرسة ، فدنت منه ، اخذته بين يديها ، وجعلت تقبّله بعنف حتى بكى من فرط الخوف الذي تملكه . فأعطته ، تخفيفاً لغضبه

وبكائه – كل ما ادخرته من نقود : ثلاثة فرنكات ، اثمن كنز لديها، فتفرّس فيها الصغير بحدقتيه الواسعتين . فضمته اليها وقبّلته ما شاء لها الهوى دون ان تلقى منه ممانعة ما .

استمرت تمنحه ما تجمع من نقود طوال اربعة اعوام، وتأخذ منه مقابل ذلك قبلات لا تعدّ ولا تحصى ، تشبع بها نهمها .

لم تكن الفتاة لتفكر الا بهذا الصبي الذي كان ينتظر رجوعها كل عام بشيء من فراغ صبر . فلا يكاد يراها حتى يركض من امامها ، فيزداد قلب الصبية خفقاناً واضطراباً .

لكن الصبي اختفى فجـــأة . اختفى لان اهله وضعوه في مدرسة داخلية لا يعود منهـا الى البيت الا في الاعياد وايام العطلة . وبجهد ما استطاعت الفتاة ان تحمل والديها على المرور بالقرية ، لاصلاح الكراسي وتقشيشهـا ، خلال عطلة الصبي كي يتسنى لها رؤيته .

وقد انطلت الحيلة على الابوين الساذجين ، فعملا بنصيحـة ابنتهما دون علم بحقيقة الامر .

سنتين كاملتين غاب الصبي عن نظرها ، فلم تكد بعد ذلك تعرفه وتتأكد من انه هو « شوكه » بسبب التغيير الذي طرأ عليه . فهو الآن فتى تام الشباب ، طويل القامة ، انيق الملبس ، خصوصاً في بذلته القاتمة اللون ذات الازرار الذهبية. مر بجانبها حين لمحها وهو شامخ بأنفه الى العلاء متظاهراً بعـدم رؤيتها او

بعدم معرفتها .

فتفطّر قلب الفتاة . قفلت راجعة الى حيث يقيم والداها ، فانزوت في مكانها يومين تبكي وتنشج نشيجاً حاراً . ومنذ ذلك الوقت وهي تتالم ألماً لا نهاية له .

كانت تعود الى القرية كل عام في الوقت نفسه ، فتمر بالفتى لا تجسر ان تحييه او تسلم عليه ولو من بعيد ، او ترنو اليه بطرفها . لقد احبته حباً يقرب من العبادة ، ولقد اعترفت لي قائلة : «ثق ، ايها الطبيب ، انه الرجل الوحيد الذي رأيته على هذه البسيطة . وما ادري ان كان هناك احد غيره يحيا في هذه الدنيا ! »

...مات اهلها فاتخذت لنفسها مهنة التقشيش ، واقتنت كلباً شرساً آخر .

وجاءت يوماً الى هذه القرية حيث استقر فؤادها منذ الصغر ، فما اقتربت من صيدلية « شوكه » حتى رأت — ويا للهول — رأت «شوكه» تتأبط ذراعه سيدة حسناء هي زوجته... اذن لقد تزوج! انهارت احلامها دفعة واحدة ، وتبددت امانيها ، وتناثرت تناثر اوراق الشجر الصفراء في الخريف .

وفي مساء ذلك اليوم ضاقت بها الحياة ، وضاقت هي بالحياة ، فعولت على الانتحار ورمت بنفسها في البحيرة القريبة من مركز البلدية . فانتشلها احد السكارى ، وكان خارجاً من الخمارة في الهزيع الاخير من الليل عائداً الى البيت ، وحملها الى صيدلية

« شوكه » . نادى صاحب الصيدليـــة ، فانحدر بلباس النوم للعناية بها، ودون ان يعرفها صاح بصوت ملؤه الغضب والشدة:

« يظهر انك مجنونة ، والا لما أقدمت على الانتحار ! »

وكانت تلك الكلمات القاسية كافية لأن توقظها من غيبوبتها وتدفع الحياة في جسمها من جديد . وكم كان اغتباطها عظيماً لانه كلمها بعـــد هذا الفراق الطويل . ولم يقبل الصيدلي ان يتقاضى أجراً على عنايته بها رغم شدة الحاحها عليه .

وهكذا كانت الحياة تتقدم بها...تعمل في اصلاح الكراسي وتقشيشها ولا تفتأ تفكر بـ « شوكه » .

كانت كل عام تراه خلف الواجهة الزجاجية منهمكاً في مزج العقاقير ، فتدخل الصيدلية وتبتاع شيئاً ما ... لا لانها بحاجة اليه بل لترى « شوكه » عن قرب وتحدثه وتعطيه نقوداً ايضاً، لكن ثمناً للدواء الذي تشتريه منه ! ...

وهنا صمت الطبيب قليلًا ، فسعل ، ثم تابع كلامه :

— وكما سبق ان ذكرت لكم في بدء القصة ، انتقلت هـذه السيدة الى العالم الثاني . وبعد ان فرغت من سرد حكايتهـا ، طلبت اليّ ان احوّل جميع ما ادخرته في حياتها من مال ، الى الرجل الذي احبته دون سائر الناس ، فانها لم تشتغل الا له... كم من يوم كانت تصوم كي تضع على حدة بعض النقود رجاء ان يذكرها هو ولو مرة عندما تفارق هذه الحياة. وقد بلغت ثروتها

التي اعطتني اياها الفين وثلاثماية وسبعة وعشرين فرنكاً ، قدمت منها الى الكاهن السبعة والعشرين فرنكاً نفقات الجنازة والدفن، ووضعت الباقي في جيبي ساعة اسلمت نفسها الاخير .

وذهبتُ في اليوم التالي لزيارة الصيدلي « شوكه » ، فوجدته مع زوجته ، قد فرغا من تناول الغداء. فجلست واخبرتهما بما جئت من اجله ، وانا منكسر الصوت ، واكبر ظني ان القصة ستؤثر في اعماقهما فيبكيان .

فما علم « شوكه » ان هذه السيدة، قشاشة الكراسي، كانت تحبه حتى انتفض من مكانه كمن اصابه مس ، وعز عليه وعلى غروره ان تحبه امرأة حقيرة فتنال من كبريائه وشرفه أعز شيء لديه، وتحط من كرامته . ولم يكن غضب زوجته بأقل من غضبه ، فقالت :

ـ تباً لها من امرأة حقيرة ، حقيرة ! ...

وراح الصيدلي يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ، يتمتم كلاماً غير مفهوم. ثم دنا مني وقال لي بصوت مضطرب وهو ثائر الاعصاب :

ـ ثق ، أيها الطبيب ، انني لو عرفت ذلك، وهي على قيد الحياة ، لكنت اعلمت مدير الشرطة بالامر وطلبت اليه القبض عليها وزجها في غيابة السجن . وانا اؤكد لك انها كانت تقضي ايامها كلها في الحبس !

صُعقتُ حين سمعت هذه الكلمات . ولم أدرِ ما اصنع او ما اقول . لكن كانت عليّ مهمة يجب ان انهيها ، فقلت :

العرافة والعفريت والراعي

اسطورة تشيكوسلوفاكية

ا ج. راب

•

اجتمع شبان القرية وصباياها على عادتهم للرقص واللهو والمرح. وكانت حديقة الحانة قد فُرشت ارضها بألواح الخشب، فأخذت تعج بحلقات الراقصين والراقصات، ويتعالى وقع الاقدام ونقرها على انغام الموسيقى وعزفها المرقص.

وبين الأشجار، الى طاولة منزوية، جلست عرافة حيزبون تحرك اناملها دون ان تكترث لما يجري حولها. ولم يكن الشبان لينظروا اليها او يفطنوا لوجودها إلا بعد ان نبهتهم اليها الصبايا قائلات: انظروا، هذه هي العرافة العجوز، هذه هي الساحرة!

وتمتمت العجوز: «آه لو يراقصني أحد، فأرقص ثم ارقص حتى مع الشيطان!» في تلك اللحظة، ظهر من الغاب رجل طويل القامة، غريب، أدكن اللون، تغطي رأسه قبعة كبيرة خضراء تعلوها ريشة طويلة. وراح يتقدم بخطى متئدة بين جموع الراقصين والراقصات متسائلًا عن المرأة الجميلة الجالسة وحدها،

مشيراً الى العرافة العجوز ، حتى وقف امامها . فانحنى قليلاً وخاطبها قائلاً : أتوليني شرف هذه الرقصة ؟

ورقص الاثنان رقصاً لم تشهده من قبل حديقة الحانة القائمة في ظاهر القرية . كان الوقت غسقاً ، والجو بارداً ، ولكن الرقص بعث في جسديهما حرارة لطيفة . وكان هذا الغريب ينفح الموسيقيين بقطع النقود الذهبية الرنانة ، واحدة بعد اخرى ، كلما تعبوا وتوقفوا عن العزف .

ولم يتوقف الاثنان عن الرقص الا عند منتصف الليل . فجذب الراقص الطويل العرافة العجوز من يدها وراحا يبتعدان عن المكان. ومسح الموسيقيون عيونهم ، وفغروا افواههم وهم ينظرون بدهشة الى الغريب والعجوز يبتعدان، والعتمة تلفهما بردائها الفضفاض ، وتظللهما الأشجار الباسقة ، المورقة .

ولما همَّ الرجل الغريب بتوديع العجوز قالت له متوسلة :

ـ دعني أرافقك الى منزلك .

ـ ان منزلي بعيد جداً عن هذا المكان .

وابتسم ابتسامة صفراء ، ولكنها لم تأبه لابتسامته قائلة :

ـ لا بأس... ليكن منزلك في طرف العالم !

ـ اذن فليكن لك ما تشائين . ضعي ذراعيك حول عنقي وتعلقي بي جيداً ...

ففعلت . وضرب الغريب الأرض برجله اليسرى ثلاثاً ،

فانشقت تحتهما . وسُمع صوت رعد من بعيد ، ولمع برق خلّب ، وانحدر الاثنان في جوف الأرض . فلما وصل العفريت الى الجحيم ، أعلن بصوت مرتفع :

– لقد أتيت بها ، ها هي ذي .

وعبثاً حاول التخلص من العجوز التي تطوق عنقه بذراعيها القويتين . وباتت عروق جبهته نافرة من شدة ما بذل من الضغط عليها لتركه . ولكنها ظلت ممسكة بعنقه ، لا تريد ان تنزل عن ظهره لتعلقها بالحياة . ولم تجدِه محاولاته المتعددة نفعاً ، فراح بضعة ايام يذرع ممرات الجحيم المحرقة ، والعرافة العجوز على ظهره ، حتى تعب من حملها فقر رأيه على مقابلة رئيس الأبالسة .

فما أقبل على سيد الجحيم حتى ضحك هذا الأخير وقال للعفريت المتعب الذي جاء يستشيره في أمره :

– يوجد حل وحيد لمشكلتك ، ايها المجنون . عليك بالعودة الى الأرض مع هذه العجوز وتركها حيث التقطتها . اما تنفيذ ذلك فموكول اليك وحدك !

عاد العفريت أدراجه بعبئه الثقيل وهو يوزع الشتائم الجهنمية ذات اليمين وذات اليسار . وصعد الى الارض من شق جهنم وراح يتقدم في البرية وهو يلهث من فرط العياء . ثم ما لبث أن مر براعٍ شاب يلتف بجلد غنم سميك ، وهو الرداء المفضل

لدى جميع الفلاحين في تلك المنطقة. ومشى الاثنان وقتاً يسيراً، جنباً الى جنب، وقطيع الغنم يسير امامهما. فما عتم الراعي ان جلا حنجرته وقال بشيء من الهزء :

ـ انها لطريقة مضحكة ان تحمل امرأة على هذا الاسلوب.

أجاب العفريت مغضباً :

ـ نحن دائماً نسافر على هذه الهيئة لأننا نفضلها.

قال الراعي ساخراً :

ـ أنا لم أقصد اهانتك، انما اظن ان حملك ثقيل جداً. أليس كلامي صواباً ؟

كان العفريت ينتظر هذه الساعة بفارغ صبر، فقال :

ـ اجل، ولكني أقدر عليه اذا أُتيح لي ان استريح بين الفينة والفينة ...

ـ يا لك من عفريت مسكين !

قال الراعي ذلك، وواصل سيره الى جانبه. ولكن سرعان ما انهدت قوى العفريت، فاعترف بضعفه وعجزه عن مواصلة السير بحمله الثقيل، وظهرت الدموع تترقرق في مقلتيه.

فقال الراعي :

ـ أتكون حالتك قد ساءت الى هذه الدرجة ؟ اني مستعد ان امد لك يد المعونة. وقرّب رأسه الأشعث من عنق العفريت المتشنجة، فلم تأبه العجوز لذلك، وانما حلّت ذراعيها عن عنق

العفريت وطوقت بهما عنق الراعي . فلم يكد يصدق العفريت انه بات حراً من كل طوق او قيد ! تمنى للراعي كل الخير ، وتناول منه العصا الطويلة وراح أمامه يقود القطيع ، بينما لبث الراعي خلفه والحمل على ظهره .

وما هي الا دقائق حتى أبصر العفريت الراعي مقبلًا عليه بسرعة دون ان يرى العرافة العجوز على كاهله . فارتاب في صحة نظره وفرك عينيه وحدق مليّاً .

قال الراعي :

– الأمر جد بسيط. فقد عرجت على بحيرة مجاورة ، ونضوت عني ردائي وألقيته في الماء ، ومعه عجوزك التي كانت ممسكة بطوق الرداء . ثم انتظرت ريثما طفا الرداء على سطح الماء فالتقطته . وها أنذا أعود لأقود قطيعي الى الحظيرة .

قال العفريت والبشر بادٍ على محياه :

– ثق أنني جد شاكر لك هذه الخدمة التي قمت لي بها . اسمح أن ابدي لك هذا الشكر بقوة وأنا الآن في طريقي الى مدينة براغ حيث اتغلغل في ابنة الملك الوحيدة . وستكون النتيجة جلبة وغوغاء ، وسيعيّن الملك مكافأة سنية لمن يستطيع ان يطهر نفس الاميرة ويشفيها مما نابها مني . فاذا جئت انت فقف الى فراش الأميرة وتمتم في اذنها هذه الكلمات : «ها أنذا الراعي !» فأخرج انا بسرعة البرق الخاطف من الأميرة ،

فتشفى للحظتها .

ولم يكد العفريت ينهي كلامه حتى أدار وجهه شطر الريح التي تهب من فوق التلال والهضاب ، ونشر ذراعيه كالجناحين ، وانطلق كالسهم سابحاً في الفضاء متوارياً بأسرع من لمح البصر .

وبعد أيام أقبل الراعي على براغ بعد أن قطع أشواطاً شاسعة . فرأى جموعاً محتشدة في الشوارع والمنعطفات والاماكن العامة ، والجميع يلهجون بأحدث الأنباء ويتناقشون فيها . ووقف بينهم المنادي الرسمي يتلو عليهم بيان الملك :

« لما كانت الأميرة ، ابنتنا المحبوبة ، فريسة علة غريبة ، يقض عليها العفريت مضجعها ، ولما كان ألمها يحز في قلبنا الابوي الرحيم المشفق ، فاننا نعلن على افراد رعيتنا في شرق المملكة وغربها أن من يقدر على شفائها فيطرد العفريت من نفسها ، سيستحق شكرنا الملكي السامي ، وستكون مكافأتنا له الاقتران بالاميرة ، والجلوس على عرش النصف من مملكتنا . »

لم يبطىء الراعي في المثول امام رب القصر . وقد أبصر ، وهو داخل ، شخصين يضربان بالسوط لأنهما أخفقا في محاولتهما ان يشفيا الأميرة مما بها ، وهما الآن يطلبان مخرجاً من البلاط الملكي . ولم يكد الراعي يعلن سبب قدومه الى القصر حتى أدخل على الملك في الحال لأن الامر كان يستدعي السرعة . فحدجه الملك بنظرة غريبة وهو يشك في مقدرته على شفاء

ابنته . ولكنه كان حريصاً على تجربة كل علاج حتى يقع على الترياق .

سيق الراعي الزري المظهر الى حجرة الأميرة العليلة ، فسقط نظره على صبية شاحبة الوجه ترقد في فراشها ، عيناها عالقتان بسقف الغرفة ، ولكنهما خابيتا النور .

مال الراعي الى الملك المضطرب والتمس منه ان ينسحب هو ومن معه الى ركن قصي في القاعة ، فلبّى الملك طلبه . وتقدم الراعي من الصبية وقرّب فمه من اذنها وهمس فيها بالكلمات التي لقنه اياه العفريت . فجاءه الجواب :

– حسناً أنا ذاهب . ولكن هذه هي المرة الأخيرة التي افعل هذا من أجلك !

وسُمعت زعقة قوية ارتجت لها اركان المكان ، ولمع بريق ساطع بهر ابصار الحاضرين ، وانطلق العفريت كالسهم من النافذة .

وبر الملك بوعده ، فعقد للراعي على الاميرة ، وأجلسه على عرش نصف مملكته . فحكم الامير الجديد بروية ودراية فائقتين وعاش اياماً سعيدة .

لكن الحكاية العجيبة لا تنتهي هنا . فالعفريت الذي كان في داخل الأميرة اصبح لا يطيق فراق الأميرات . وهبط مدينة براغ رسل من المملكة المجاورة يحملون نبأ مفاده ان اميرة

تلك الناحية وقعت بين مخالب العفريت ، فجاؤوا يلتمسون من الامير الساحر ان يتلطف ويسرع عبر الحدود لشفاء جارته الاميرة.

وهنا تذكّر الأمير ما دار بينه وبين العفريت ، فهز رأسه ، وقال للرسل انه لا يستطيع تلبية رغبتهم ، وان الحيلة في هذا الأمر معدومة . وكان هذا ايضاً هو جوابه للوفود الكثيرة التي ارسلها فيما بعد سيد المملكة المجاورة ، حتى هدده الملك في النهاية بالحرب اذا هو لم يستعجل فيمتطي اسرع فرس في براغ ويقصد قصره ليشفي الاميرة المصابة . واضاف الملك الى ذلك قوله انه لن يحجم عن بتر رأسه اذا وجد الى الأمر سبيلاً .

فلم يجد الأمير الراعي بداً من الاذعان لهذا الوعيد ، فودع زوجه ، وامتطى صهوة جواده الأصيل وراح يسابق الريح قاصداً المملكة المجاورة .

وصل الامير الى البلاط الملكي فأدخله الملك الحجرة التي ترقد فيها ابنته الاميرة . ولكنه ما كاد يتخطى العتبة حتى سمع صوت العفريت يصيح من داخل الصبية العليلة : « ما معنى هذا التدخل ؟ أنسيت العقد الذي بيننا ؟ أهذا شكرك لي على كل ما فعلته من اجلك ؟ وهل تظن اني سأخرج لمجرد همساتك ؟ يا لك مسكيناً سيفتضح امره ويبين عجزه ! »

ولكن الراعي الأمير لم يأبه لما سمع ، بل تقدم من الاميرة المسجاة في فراشها ، وهمس في اذنها مخاطباً العفريت :

ـ أنا آسف جداً، يا هذا ! فالغلطة ليست غلطتي . ابقَ اذا شئت . فأنا ما جئت الا لأنذرك بأن تلك العرافة العجوز لم تغرق، بل هي في طريقها الى هنا، تجدّ في سيرها ...

فما اسرع ما استوت الاميرة في فراشها، ومسحت على عينيها، وتلفتت حولها بدهشة واستغراب. لقد خرج العفريت منها بسرعة فائقة ولم يشعر به سوى الراعي وبعض الذين كانوا واقفين على مقربة من السرير. أما سائر الحضور فانهم رأوا ستائر احدى النوافذ ممزقة على اثر مروق العفريت من خلالها باضطراب ورعب.

ويقال ان اصابة واحدة من هذا النوع لم تقع بعد ذلك في تلك البقعة من الدنيا. اما الامير الراعي فانه جعل رايته، كما جعلها احفاده من بعده، تحمل قرنين حمراوين، وعجوزاً دردبيساً !

عالمان

قصة دانمركية

ليانس بيتر جيكوبسن

•

ليس نهر سلزاك نهراً طروباً . فعلى ضفته الشرقية تقوم قرية صغيرة كئيبة جداً ، فقيرة جداً ، ساكنة سكوناً غريباً .

وكجماعة بائسة من المتسولين القبيحي المنظر توقفوا لدى الضفة لأن لا مال لديهم ينفحونه صاحب الزورق ليعبر بهم النهر ، انتصبت البيوت على اقصى الضفة ، تنحني اكتافها الخربة إحداها على الاخرى ، وتتلمس دعائمها المتأكلة من جراء الطقس ، الشبيهة بالعكاكيز ، مياه النهر الرمادية . في حين ان نوافذها ترمق بعبوس وحقد البيوت الأوفر سعادة القائمة على الضفة المقابلة ، تلك البيوت المشيدة إما واحداً واحداً أو اثنين اثنين في رفقة مريحة ، وقد انتثرت هنا وهناك في المروج الخضراء ، بعيداً بعيداً ، عند الافق حيث الضباب المذهّب .

لا نور في البيوت الحقيرة . كل ما يكتنفها هو الظلام والصمت والسكينة ، وهمهمة النهر يجري ببطء ، ودون توقّف ، مدندناً لنفسه ، تعباً من الحياة ، ذاهلاً ذهولاً غريباً .

كانت الشمس تميل الى المغيب ، والجراد قد بدأ يملأ الجو بدندنته الصافية تحملها من الضفة المقابلة نسمات عليلة تهبّ وتتلاشى وسط القصب الغزير على الشاطىء .

في النهر كان قارب يتقدّم .

وفي احد البيوت القريبة من الشاطىء وقفت امرأة هزيلة ، انحنت على سور الشرفة، وأرسلت بصرها ناحية القارب. وكانت تخفي عينيها بيدها الشفافة لأن اشعة الشمس الذهبية البرّاقة التي كانت تنعكس على صفحة المياه عند القارب كانت تحمل على الاعتقاد ان القارب يتقدّم على مرآة من ذهب .

ومن خلال الغسق الجليّ شعّ وجه المرأة الشاحب كما لو كان من نور . فبات من السهل رؤيته كما يرى المرء الزبد الابيض ، حتى في أحلك الليالي ، يبيّض امواج المحيط. وكانت مذعورة، تبحث عيناها عن شيء بدون أمل ، وقد ارتسمت على ثغرها المنهوك ابتسامة بلهاء غريبة . أما التجعّدات العمودية في جبهتها النافرة فكانت تنمُّ عن ظل من ظلال اليأس الذي يعلو ملامحها.

ودقّ ناقوس الكنيسة في القرية الصغيرة .

وحوّلت وجهها عن الغروب ، وراحت تميل برأسها يمنة ويسرة كما لو كانت تحاول التخلّص من رنين الاجراس ، وتمتمت كجواب على القرع المتواصل : « لا استطيع الانتظار! لا استطيع الانتظار ! »

وجعلت تذرع ارض الشرفة جيئة وذهاباً كما لو كانت تتألم. وازدادت ظلال اليأس عمقاً ، وباتت تتنفّس بعسر كمن أُجبر على البكاء ولكنه لا يستطيع الى ذلك سبيلًا .

من قديم أُصيبت بداء مؤلم لم تجد بعده أي راحة ، لا فرق ان استلقت او سارت . وقد استشارت العديـــد من النساء « الحكيمات » . وجرّت نفسها من ينبوع « مقدّس » الى آخر ، دون جدوى . واخيراً حجّت مع الآخرين في حج ايلول الى مقر القديس بارتولوميو . وهناك أشار عليهـا عجوز أعور أن تصنع باقة من نوع معين من الزهر ، وشظيـة زجاج ، وقشرة حنطة ، وبعض الخنشار من أحد المدافن ، وخصلة من شعرها ، وقطعة خشب من نعش ، ثم تلقيها شطر صبية يانعـة ، تفيض صحة وعافية وهي تتقدّم نحوها عبر المياه الجارية . فيغادرهـا داؤها ليستقرّ في الأخرى .

وها هي الآن تخبّىء الباقـــة تحت شالها . وهوذا قارب يتقدّم في النهر ، وهو أول قارب تلمحه بعد أن اعدّت الباقة السحرية . وخرجت الى الشرفة ، واتكأت على السور . فرأت في القارب ستة ركاب بدوا لها جميعاً غرباء . في مقدّمة القارب وقف الربان وبيده وتد طويل . وفي المؤخرة جلست سيـدة أوبجانبها شاب يراقبها وهي تحوّل الدفّة حسب ارشادات الربّان . ما الباقون فقد اقتعدوا وسط القارب .

ومالت المرأة المريضة كثيراً خارج سور الشرفة . وقد أخفت يدها تحت شالها، وتصلّبت ملامحها . وكاد تنفّسها يتوقف. وبأنف مرتعش، ووجنتين ملتهبتين، وعينين مفتوحتين ، راحت تنتظر وصول القارب .

كانت تسمع أصوات المسافرين ، تارة بوضوح ، وطوراً كأنها همهمات مبهمة .

قال أحدهم :

– السعادة ما هي سوى فكرة وثنية . فانك لا تجد هذه الكلمة في أي موضع في العهد الجديد من الكتاب المقدّس .

وسأل آخر :

– الخلاص ؟

وقال ثالث :

– كلا ، اصغوا الآن . صحيح ان النقاش يبتعد كثيراً عن الموضوع الذي نتحدث فيه ، ولكن يبدو لي انه يجمل بنا العودة الى الموضوع الذي بدأنا منه .

– حسناً ، إذن الاغريق ...

– الفينيقيون في البدء !

– ماذا تعرف عن الفينيقيين ؟

– لا شيء ! ولكن لماذا يهملون الفينيقيين دائماً ؟

وصار القارب مقابل البيت تماماً ، وما كاد يمرّ حتى أشعل

احد الركاب لفافة تبغ . ولمع ضوء كالبرق الخاطف كان كافياً لأن يُظهر الصبية بوجهها الفتيّ ، وابتسامة السعادة ترتسم على شفتيها المنفرجتين ، والنظرة الحالمة تحتار في عينيها الصافيتين العالقتين بالفضاء المظلم . وأُلقي شيء في الماء فأحدث صوتاً مسموعاً . وواصل القارب سيره .

•

وانقضت سنة ...

وكانت الشمس تغرب وسط سحب كثيفة ، برّاقة ، تعكس على صفحة النهر القاتمة نوراً أحمر كالدم . وهبّت فوق المروج أنسام منعشة ، ولم يكن هناك جراد – بل كل ما كان يُسمع همهمة النهر ، ووشوشات القصب على الشاطىء . ومن بعيد رؤي قارب يتقدم .

وكانت المرأة العجوز على ضفة النهر... فبعد أن ألقت باقتها السحرية صوب فتاة القارب أُغمي عليها . ونتيجة للانفعال الشديد – وربما نتيجة لوصول الطبيب الجديد الى تلك الناحية – تغيّرت حالها . فأخذت صحتها تتحسن شهراً بعد شهر ، حتى استعادت أخيراً صحتها التامة .

في البدء اسكرتها فكرة شفائها ، إلاّ أن نشوتها هذه لم تدم طويلاً . فما لبثت أن أصبحت منكسرة الفؤاد ، كئيبة ، مغمومة ، لا يقرّ لها قرار ، يملأ اليأس جوانحها ، لأن صورة

الفتاة الجميلة – فتاة القارب – كانت تلاحقها باستمرار . كانت تتخيّلها راكعة عنـــد قدميها تتطلع اليها بعينين متوسلتين . وتتلاشى هـذه الرؤيا ، ولكنها على يقين ان الفتـاة ما تزال ماثلة امام ناظريها ، لا تبرح مكانهـا ، وهي تبكي وتنتحب بلا انقطاع .

والآن فان هذه الرؤيا حاضرة أمامها تكاد لا تفارق بصرها. انها شاحبة ، هزيلة ، تحدّق فيها بعينين كبيرتين مذهولتـين ، غير طبيعيتين ...

في ذلك المساء وقفت المرأة على ضفة النهر وبيدها عصا ترسم بها في الرمل الناعم صلباناً . وكانت ترفع رأسها قليلًا بين حين وآخر وتصيخ السمع ، ثم تعود الى رسم الصلبان .

ودق ناقوس الكنيسة .

فأكملت الصليب الذي كانت ترسمه ، وألقت العصا جانباً ، وخرّت على قدميها تصلي وتبتهل . ثم سارت في النهر وراحت تتقدّم حتى غمرتها الميـاه الى مستوى إبطيها . وثنت ذراعيهـا وتركت نفسها تغوص في المياه السوداء. وطوتها المياه وغاصت بها الى الاعماق ، وواصلت جريانها كالمعتاد ، متثاقلة ، حزينة ، مخلّفة وراءها القرية والسهول ، مبتعدة ، مبتعدة ...

وبات الزورق الآن قريباً جداً . وكان يقلّ الفتاة ورفيقها وهما في رحلة شهر العسل . الشاب جلس الى الدفة ، والفتـاة

وقفت وسط الزورق ملتحفة بشال رمادي، معتمرة قبعة صغيرة حمراء ... وقفت مستندة الى الصاري القصير ، وهي تدندن .

وعبرا النهر أمام البيت ، فهزّت الفتاة رأسها بسرور مشيرة الى رفيقها الممسك بالدفة ، ورنت الى السماء، واندفعت تغني ... بصوت خافت وهي تستند الى الصاري وعيناها مرفوعتان الى السحاب ، اغنية تفيض سعادة ونشوة ...

تاجر الحرير

قصة ايطالية

لكارلو غوزي

•

كان جيراردو بنفنكا بائع حرير من مدينة البندقية . وكان رجلًا مرحاً ، طيباً ، فاضلًا ، حسن المعاملة كما يرغب كل امرىء أن يكون التجار . وصباح ذات يوم أحد نهض من النوم مبكراً لأنه اعتزم ان يسدد بدل نصف ايجار حانوته السنوي . وما أن اغتسل وارتدى ثيابه حتى عدَّ نقوده . وقال بينه وبين نفسه : «ها هي ذي النقود جاهزة ، ولكني سأذهب الى الكنيسة قبل أن أعمل أي شيء ، وبعد أن اسمع القداس سأنهي هذه القضية .» وانتزع رداءه من فوق المشجب ، ورسم على صدره اشارة الصليب بتقىً وورع ، وخرج من البيت . ومرَّ من أمام الكنيسة فسمع رنين ناقوس صغير عرف منه ان القداس على وشك الانتهاء . فأسرع الخطى ودخل ، ولمس الماء المقدس ، وتقدَّم من المذبح حيث كان الكاهن واقفاً يتلو مزمور الختام ، فركع على دكة لم يكن راكعاً عليها سوى سيدة على جانب كبير من الملاحة ، زينتها زينة بندقية ، ترتدي تنورة

من صنع فلورنسا ، وصديرية حريرية سوداء اكمامها مخرمة تخريماً دقيقاً ، وتتحلى بالخواتم والدمالج الذهبية ، ويطوّق جيدها عقد جميل من الالماس . وكانت تبدو شديدة التقوى والتواضع ، بيدها كتيّب أنيق التجليد تنظر فيه وترتّل الاناشيد كأنها ملاك . والتفت اليها جيراردو وحدّق فيها بضع لحظات معجباً ، ثم تناول من جيبه كتاب المزامير واشترك في الترتيل ، مستغرقاً في التأمل ، وقد جعل يهزّ رأسه باضطراب .

وانتهى القداس فرغب جيراردو ، من باب اللياقة ، ان يحيي السيدة . وبينما كان يتأهب لذلك مرّت به ، فتبعها متسائلاً كيف كانت سترتدّ تحيته . وغادر الكنيسة ، فقادته غريزته في طريق صاحب الحانوت ليدفع له البدل المستحق . فلمّا وصل الى حيث يقيم هذا ، وهو وكيل املاك احد افراد عائلة موروسيني النبيلة ، قرع الباب قائلاً : « لقد جئت ادفع كالعادة ، ولكنك لم ترتدّ يوماً زياراتي المتكررة لتدفع لي اي شيء . تعال يوماً الى حانوتي ! » ودس يده في كيس النقود فلم يعثر بداخله على اي قطعة نقدية . فدهش وصاح : « هل فقدت عقلي ؟ ما هذا ؟ » وأجال طرفه كمن أصيب بمسّ ، او كمن يتألم أبشع الآلام . وأخيراً أحسّ بشيء صلب في ركن من أركان الصرة ، فالتقطه فاذا به سوار من الذهب ذو مشبك من الالماس تقدّر قيمته بحوالى مئتي قطعة من الذهب البندقيّ .

فصعق التاجر المسكين لما رأى ، وظن للوهلة الأولى ان ذلك من تأثير السحر والشعوذة ، ثم اعتقد ان في الأمر خدعة. وحار في أمره ، فاستدار بسرعة فرأى الوكيل مكشراً ، فهرول الى الخارج يقفز درجات السلّم قفزاً دون ان ينبس ببنت شفة ، والوكيل يناديه قائلًا ، وقد أمسك بيده قلماً وورقة استعداداً لاعطائه الايصال : « ماذا دهاك ؟ » وتطلع من النافذة فأبصره يعدو بأقصى سرعته والمارة يخلون له الطريق. فهزّ رأسه اعتقاداً منه انه مجنون ، وعاد الى حساباته آسفاً لأنه لم يقبض منه النقود. اما جيراردو فأسرع ، وهو يتمتع بقواه العقلية الكاملة ، الى دار صديقه الصائغ مضطرباً ، وبوده ان يعرف قيمة السوار الذي لقيه بدل المبلغ الذي فُقد منه . فلمّا ايقن ان ثمنه يساوي مئتي قطعة ذهبية على أقل تعديل تبادر الى ذهنه ، على الفور ، أن السوار يخص السيدة الغنية التي وقفت الى جانبه في الكنيسة ، وتذكّر أنه رآه في معصمها. إلاّ انه لم يتأكد من ذلك تماماً. وقدّر أن السيدة لعبت معه لعبتها ، ولكن المكان والزمان غير المناسبين جعلاه يبدّل اعتقاده . وفضلًا عن ذلك ، فهو لا يعرفها ، ولا هي تعرفه ، وهو يرغب ان يهتدي الى محل اقامتها. وفجأة قال ، وقد التمع في ذهنه خاطر : « الآن عرفت كل شيء ، فقد كان كيس النقود ملقى بجانبي ، وكنت مستغرقاً في الصلاة والتأمل ، وكانت هي بحاجة الى مال ، فمدّت يدها الى الكيس

فوقع سوارها بداخله قضاء وقدراً .» ولكن كيف التوفيق بين هذا العمل وبين مظهر السيدة الانيق ، وجمالها الساحر ، وشدة ورعها وتقواها ؟ وشعر بالخجل لأن مثل هذا الاتهام راوده ، وحاول طرده من فكره . ولكنه اعتزم ان يحتفظ بالسوار ويترقب النتيجة بهدوء . وعاد جذلاً طروباً ليصفّي حسابه مع الوكيل مدّعياً ببعض الهزء أنه انما نسي النقود . والآن وقد دفع ما يتوجب عليه فانه يحسّ بالراحة والسرور . وابتسم الاثنان ، وودع أحدهما الآخر ، وافترقا ...

وفي اليوم التالي لمح جيراردو وهو يسير في احد الشوارع الاعلان التالي مكتوباً بأحرف غليظة وملصقاً على عمود يقوم عند احد المنعطفات : «سوار ذهبي مفقود او مسروق ، لمن يعيده الى صاحبته بتركه في «السكرستيا» ، في كنيسة سانتو ماركويولا ، جائزة سنية». فصعق في مكانه ، واعاد تلاوة الاعلان مثنى وثلاث ورباع لأنه لم يكن ليتردد قط في الاحتفاظ بالسوار. ولم يستطع ضبط نفسه لغرابة هذه القضية فانفجر ضاحكاً وتمّم شطر الكنيسة ، وسأل عن الكاهن لدى وصوله ، وانتحى به جانباً قائلاً له :

— ابتي الجليل، لديّ اعتراف بسيط، فإن أذنت لي اطلعتك عليه . ولكن لي شرطاً واحداً وإلاّ عدت من حيث اتيت !

فأجابه الكاهن :

ـ تكلم، ما هو هذا الاعتراف؟ اذا كان امراً معقولاً فانني اقبل بالشرط .

فاردف جيراردو :

ـ أنا هو الرجل الذي وجد السوار، ولكنني لن اعيده الا الى صاحبته نفسها. فرجائي اليك ان لا تحمل ذلك مني اي محمل غير شريف. فمن المستحسن ، بالنسبة للسيدة ، ان اعيده اليها دون ان يكون ثمة اي شهود . فإذا تلطفت وارشدتني الى مقرها فثق بأنني سأذهب اليها تواً ، وإلا فاعذرني . فسأحتفظ بالسوار دون ان احمّل ضميري أي وزر .

فأجاب الكاهن :

ـ لقد تلقيت التعليمات بأن اعطي من يجد هذه الحلية ثلاث قطع من الذهب يبتاع لنفسه بها بعض الشراب . أما انت ، يا سيدي ، فلست ، ولا شك ، بحاجة الى الخمر .

فاستدرك جيراردو :

ـ لن اعيده ولو كانت الجائزة مئة قطعة من الذهب . ولكن اذا أُتيح لي ان اسلّمه شخصياً الى صاحبته فانني لا اطلب اي مكافأة .

فقال الكاهن :

ـ إني انصح لك، يا بني ، ان تكون اكثر احتراماً للدين وخشية منه . فانت ، طبعاً ، لن تحتفظ بشيء لا يخصك . وما

دمت عازماً على اعادته الى صاحبته وحدها فلتكن ارادتك . ونظراً الى عنادك وتشبثك فسأنادي الكاتب ليرشدك الى منزلها.

وخرج الاثنان فسارا مسافة قصيرة ثم أشار الكاتب القصير القامة ، البدين ، الى بيت فخم كبير قائلًا :

– ها هو ذا البيت !

ودخل جيراردو وصعد على سلم يؤدي الى بهو فسيح كُسيت جدرانه بالحرير ، فابتهج قلبه . ولكنه كان مضطرباً فلم يستطع تقدير قيمة الحرير. وفكر في بادىء الامر في الفرار لاعتقاده انه ارتكب خطأ فادحاً . وبينا هو حائر في أمره لا يدري ما العمل تقدمت من ناحية السلم خادمة قائلة :

– من ؟ من انت وما تريد ؟

فاجاب جيراردو وقد سمّر في مكانه ، وامسك قبعته في يده احتراماً :

– اني ارغب في رؤية سيدة البيت . واذا كان مناسباً فاني ارغب بأن يُسمح لي بمحادثتها .

فنادت الخادمة سيدتها الموجودة في جناح مجاور قائلة :

– هناك، يا سيدتي، رجل يود محادثتك في بعض الشؤون .

فاجابت السيدة بصوت اقلق التاجر المسكين :

– دعيه يدخل . لماذا لا تدخليه ؟

واسرع لتلبية اوامرها . فما ان دخل القاعة حتى رأى ،

لفرط دهشته ، السيدة الجميلة نفسها التي وقفت الى جانبه في الكنيسة ، وكاد يصاب بنوبة اغماء لهذا الاتفاق . وحدقت هي ملياً بجيراردو فعلا وجهها الشحوب كزوجة لوط عندما تحولت الى عمود من ملح . والواقع انها كانت على وشك الاغماء لأنه لم يدر بخلدها مطلقاً عندما فقدت سوارها انها تركته وهي تسحب يدها من كيس نقود التاجر . ولكنها كانت مستعجلة للحصول على القطع الذهبية العشر بينما كان هو مستغرقاً في الصلاة والتأمل ، فلم تلحظ ان سوارها لم يكن مشبكاً . وقد اعتقدت انها اضاعت هذا السوار في الطريق ، والا لما وصل بها الجنون الى حدّ الاعلان عن فقدانه او سرقته . ولم تفكر وقتئذٍ ان العار والتشهير بانتظارها . غير ان السماء التي تعاقب غالباً البشر المذنبين بطريقة قلما يتوقعونها لا تقصّر في اخذ المذنبين بذنوبهم . وحدّق جيراردو بدوره في السيدة التي كانت ما تزال نظراتها موجهة اليه ، ولم ينبس احد منهما ببنت شفة ، واخيراً تناول التاجر السوار المشؤوم من جيبه وامسكه بأحد طرفيه قائلاً :

ـ انني في حيرة ، يا سيدتي ، ولا اعرف كيف حدث ذلك ، فمن الواضح انك اضعت هذا السوار ولكن الشقي سرق عشر قطع من الذهب من صرتي . غير أنني عرفته ولن يفلت مني .

وابرز السوار ومضى يقول :

– فاذا ما رفض اعادة نقودي اليّ، وقد حصّلتها بدم قلبي، فسأحتجزه ولن ادعك تبصرينه . اني اعرف انه صديق حميم، عزيز عليك، تحبينه حبّاً جمّاً، لذلك انصح لك بأن تؤدي عنه الغرامة ضنّاً بسمعتك وبسمعة عائلتك كي لا اتخذ بحقه تدبيراً لا يروقك . اما اذا وافقت على دفع ما يدين لي بـه فلن يتعدى خبر هذه الفضيحة شخصينـا نحن الاثنين . فأطلق سراح اللص راجياً منك ان تعظيه للمستقبل، وان تؤدبيـــه بحيث يذكر ذلك حتى آخر ايامه .

وعلى الرغم من اضطراب السيدة فانها لم تستطع الا الانفجار ضاحكة . ثم ما لبثت ان سلكت مسلكاً حكيمـاً، فقامت الى منضدتها، وتناولت منها عشر قطع من الذهب ربمـا كانت القطع نفسها التي اختلستها . والتفتت الى جيراردو قائلة :

– اني اعترف لك، يا سيدي، بان هـــذا المحتال ما ان ارتكب فعلته حتى هرب مني خشية غضبي . وهـذه هي النقود التي سرقها . وما دمت تريد ان تطلق له الحرية وتكتم سرّ هذه القضية – وهذا ما ارجو ان تفعله – فسأعتبر نفسي مدينة لك الى الابد . وكما ذكرت فسأحول بينه وبين اقتراف مثل هذه الفعلة في المستقبل .

وعدّت القطع النقدية واحدة واحـــدة واضعة اياها في يده، وتناولت السوار بدلها. وبعد بضع مجاملات ودّع التاجر

السيدة وانصرف .

•

من المؤكد ان هذه السيدة امرأة تحب البذخ ، من عائلة محترمة ولها معارف محترمون ، وهي زوجة مواطن غنيّ تعشق اللهو والاسراف . ولما كان زوجها يقصّر معها في تقديم المال الكافي لأثوابها ولهوها فقد اعتادت ان تحصل على المال من مصادر اخرى ...

وهكذا تختم اخطاؤنا ومعائبنا على عقولنا وتقودنا الى هاوية الخراب .

الحاسم

قصة انكليزية

لصمرسيت موم

•

اضطرني العمل الذي كنت اقوم به في آب من العام ١٩١٧ الى مغادرة نيويورك الى بطرسبرج (لنينغراد اليوم) . وقد صدرت اليّ التعليمات بالذهاب الى بطرسبرج بطريق فلاديفوستك امعاناً في المحافظة على سلامتي .

وصلت الى هذا الميناء ذات صباح وقضيت فيه يوماً كاملاً دون ان يكون لديّ اي هدف معين . وكان موعد قيام قطار سيبيريا من المحطة حوالى التاسعة من مساء ذلك اليوم . فلما حان وقت العشاء دخلت مطعم محطة السكة الحديدية وتناولت طعامي وحيداً .

كان المطعم غاصاً بالزبائن ، فاضطررت الى مشاطرة احدهم طاولته . وقد اعجبني من جاري مظهره وشكله .

كان روسياً طويل القامة ، مفتول العضلات ، تنمّ ملامحه عن قوة جسدية هائلة . وكان بديناً ، مندلق البطن الى درجة انه كان يبعد كرسيه عن الطاولة مسافة غير قصيرة ليتسنى له الجلوس

براحة . اما يداه الصغيرتان فكانتا قطعتين من الشحم . وكان أسود الشعر ، طويله وأملسه . دبّ الصلع الى رأسه فاضطر الى تصفيف شعره بشكل يخفي صلعته .

كان أنفه دقيقاً أشبه بزر يتربّع على كومة من اللحم، وكان فمه احمر كبيراً ، يقطر شهوة . أما عيناه فكانتا سوداوين صغيرتين . وكان يرتدي بذلة سوداء جديدة ولكنها ملطخة بالوحل، مما يدل ، ولا ريب ، على ان صاحبها لم ينظّفها منذ تسلّمها من الخياط حتى ذلك اليوم ...

كان المطعم من حيث الخدمة والالتفات الى الزبائن من أسوإ المطاعم التي عرفتها في حياتي . وقد استحال عليّ لفت انتباه الخادم اليّ . وما عتّم الامر ان خضت وجاري غمار الحديث ، فتبيّن لي ان هذا الروسي يجيد التكلم بالانكليزية كأحد ابنائها .

طرح عليّ اسئلة كثيرة تتعلق بي ، وبمشاريعي ، وحرفتي ، في الوقت الذي كان الحذر فيه من الامور الضرورية ، ولكني لم اتردد في اجابته بصراحة تامة . قلت له انني صحافي واكتب روايات عندما أجد لدي متسعاً من الوقت لذلك . فلم يكن منه الاّ ان شرع في التحدث حديث الفاهم المثقف عن الروائيين الروس المعاصرين ، وبعض مؤلفاتهم القيّمة . فقد كان جلياً ان محادثي الروسي من المثقفين تثقيفاً صحيحاً .

في هذه الاثناء استطعنا ان نسترعي انتباه الخادم ونحمله على ان يحسب حسابنا بشيء من الحساء والملفوف. وقد اخرج جاري من جيبه زجاجة فودكا صبّ منها كأساً له وأخرى لي بعد ان استشارني في ذلك.

لست ادري أكان هذا الشراب الروحي هو الذي جعله محدّثاً بارعاً أم هي طبيعة الروس. فقد طفق يحدثني عن نفسه دون أن أطرح عليه اي سؤال او استفسره شيئاً. وقد ظهر لي انه كريم المنبت، وانه محامٍ، وانه ينتمي الى الحزب الراديكالي. سوى ان بعض الخلافات التي قامت بينه وبين السلطات اكرهته على الابتعاد ردحاً من الزمن عن وطنه. وكان وقتئذٍ على أهبة العودة الى مسقط رأسه. الا ان اشغاله قضت عليه بالمكوث قليلاً في فلاديفوستك قبل ان يكمل طريقه الى موسكو التي كان يأمل هبوطها في غضون الاسبوع. سألني أمتزوج انا، فأجبته بالايجاب، فتنهد وقال:

ـ أما أنا فقد ماتت عني زوجتي، وكانت سويسرية الأصل، أبصرت النور في جنيف. كانت رفيعة التهذيب والثقافة، تتكلم بطلاقة الانكليزية، والفرنسية، والايطالية. اما اللغة الروسية فقد دأبت على تعلّمها حتى اتقنتها بعض الشيء. ولكنها كانت تلكن فيها قليلاً دون ان يعيب ذلك حديثها.

أشعل جاري الروسي سيكارته العشرين، فنظرت انا الى

ساعتي اليدوية لأرى هل ثمة متسع من الوقت لتناول لون آخر من الطعام قبل حلول موعد قيام القطار .

وتابع حديثه قائلاً :

ـ كانت زوجتي في الواقع امرأة مثالية . وكانت تعطي دروساً في اللغات في احد معاهد بطرسبرج الخاصة ببنات الطبقة الارستقراطية . وكانت تحبني حتى العبادة ، سوى انها كانت شديده الغيرة .

لم يكن باستطاعتي ان اتمالك نفسي من الدهشة لدى سماعي هذا الكلام . فالرجل الذي جلس امامي الى الطاولة هو اقبح خلق الله ممن وقع عليهم نظري منذ ابصرت عيناي النور ...

وأردف يقول :

ـ لست ادّعي انني كنت وفيّاً ومخلصاً لها . فقد كانت فظة الطباع ، نحيلة ، قصيرة القامة ، لا تستطيع التفكير في أنني استرعي انتباه غيرها من بنات حواء . ولم تكن غيرتها الشديدة تقف عند حدّ : تغار عليّ من النساء ، واصدقائي ، وكتبي ، وقطتي على السواء ...

« وحدث ذات مرة ان تغيّبتُ بعض الوقت عن البيت . فلمّا عدت اليه ألفيتها قد احرقت ردائي لا لسبب الا لأني افضّله على سائر اردیتي . أما انا فكنت اضيق ذرعاً بها وبأعمالها يوماً بعد يوم . ومع هذا كله كنت أتحمل « عذابي » بصبر جميل

وطول أناة دون أن يخطر ببالي يوماً التمرد عليها واعلان الثورة والعصيان . كنت أدفع عني جميع التهم التي توجهها اليّ دون ما هوادة في كل مرة يتسنى لي ذلك . وكنت كلما تعذّر عليّ الامر أهزّ كتفيّ دليل اللامبالاة ، واشعل لفافة تبغ . وكثيراً ما كنت اتساءل بيني وبين نفسي أحبٌ جنوني هذه العاطفة التي تكنّها لي ام هي حقد لا يقل عنه جنوناً ؟ وكان يبدو لي ان الحب والحقد تربطهما صلة قرابة وثيقة .

« وكان في وسعنا الاستمرار في الحياة على هذا المنوال لو لم يحدث ذات ليلة ما حدث . فقد استيقظتُ مذعوراً من النوم على صراخ زوجتي . ودهشت لما بدر منها ، وسألتها عما حداها الى ذلك . فقالت لي انها رأت حلماً مزعجاً : رأت انني حاولت قتلها بالقائها من اعلى السلّم في الدور السادس الذي كنا نقيم فيه . وكانت السقطة من هذا العلو موتاً محتوماً .

« بدت لي زوجتي المسكينة ذاهلة ، موزعة اللبّ ، فلم أتوانَ عن تهدئة خاطرها والترويح عنها . غير انها عادت فقصّت عليّ الخبر نفسه في الايام القليلة التالية . وبالرغم من ضحكي المتواصل لدى سماعي قولها ، فقد تبينت ان هذا الخاطر تمكّن منها وبدأ يقضّ عليها مضجعها . ولا اكتمك انني لم استطع إلا التفكير احياناً في الحلم الغريب . ذلك بأن هذا الحلم اظهر لي حقيقة لم أكن لاشك فيها من قبل : فقد عرفت هي انني امقتها

وانني لن احجم عن التخلص منها عند سنوح الفرصة . وكانت تعرف كذلك انها ثقيلة الظل عليّ ، وانني قدير على قتلها .

« ان الخواطر التي تجول في رؤوس الرجال لأكثر من ان يحصرها عدّ . وثمة خواطر نخجل احياناً من التفكير فيها . فقد كنت أتمنى غالباً ان تترك زوجتي البيت وتفر مع عشيق لها ، كما كنت ارجو ان أقضي نحبي فجأة لأتحرر من نير غيرتها الثقيل الوطأة. الا انه لم يخطر لي لحظة واحدة ان أتخلص منها بقتلها .

« وكان لهذا الحلم الغريب الأثر البليغ فينا نحن الاثنين . فقد روّع زوجتي التي أصبحت اكثر تسامحاً وأقل فظاظة وشكاً . وكنت انا في كل مرة اصعد فيها السلّم المؤدية الى المنزل في الدور السادس ألقي نظرة الى اسفل البناية وأفكّر في ما حلمت به زوجتي وسهولة القيام به . فكل ما يقتضيه هذا العمل هو حركة سريعة ليس الا . وكم كان صعباً عليّ انتزاع هذا الخاطر المقلق من رأسي !

« ومرت شهور، فأيقظتني زوجتي ذات ليلة وكنت مستغرقاً في سبات عميق ، ومنهوك القوى . وكانت شاحبة اللون تحاكي في هيئتها الاشباح ، وهي ترتجف فرقاً . فقد رأت الحلم المروّع نفسه ... وما كدت افتح عينيّ حتى انفجرت باكية كالأطفال وسألتني هل أمقتها . فأقسمت لها بجميع القديسين المدرجة اسماؤهم في التقويم الروسي بأني أحبها . فلم تلبث ان اطمأنت

ونامت نوماً هادئاً . أما انا فقد عصاني النوم ، فبقيت مستيقظاً وخيّل اليّ انني اراها تسقط من اعلى السلّم ، واسمع صراخها واستغاثتها ، وصوت وقوعها على الحضيض ... فأرتعدت فرائصي لدى هذا الخاطر ... »

توقف الروسي عن الكلام ، وقد تفصد جبينه عرقاً . وكان ما يزال في زجاجة الفودكا بعض الشيء ، فأفرغها في كأسه وجرعها دفعة واحدة .

سألته كيف ماتت زوجته ، فتناول منديلاً من جيبه مسح به العرق المتصبب من جبينه ، وقال :

ـ انها حادثة غريبة... فقد وُجدت ذات ليلة مدقوقة العنق في اسفل السلم التي تتخلل العمارة التي نسكن فيها .

ـ ومن اكتشفها ؟

ـ احد الجيران وقد عاد الى منزله بعد الفاجعة بقليل .

ـ وانت ، اين كنت ؟

فلم يحر جواباً ، ونظر اليّ نظرة غريبة حادة كلها المكر والدهاء ، قائلاً :

ـ امضيت الليلة في منزل احد الاصدقاء ولم اعد الى المنزل الا بعد ساعة من وقوع الحادث .

في تلك اللحظة جاء الخادم يحمل الينا لون الطعام الذي طلبناه . فأكب الروسي على صحفته يلتهم ما فيها بشره بادٍ .

استولت عليّ حيرة شديدة . أيكون هذا الرجل قد سرد عليّ كيف قتل زوجته بهذه الطريقة المفضوحة ؟ ولكنه ، كما يبدو للناظر اليه ، لا يمكن ان يكون سفّاحاً . ولا اعتقد ان لديه الجرأة والشجاعة الكافيتين للاقدام على مثل هذا العمل الاجرامي الفظيع . ألا يعقل ان تكون « النكتة » غايته ؟

بعد دقائق قليلة حلّ موعد قيامي لركوب القطار الحديدي فودعته ولم تقع عينيّ عليه فيما بعد . ومذ ذاك وأنا حائر في أمر هذا الرجل وفي ما سمعته منه : أكان جاداً في قوله أم مازحاً ؟

يد الله

قصة رومانية

ا ب. راكوزكي

•

ذهبت وصديقي « يان » الى احدى المدن الرومانية الصغيرة لحضور عيد اقليمي يقام فيها . فدخلنا مقاهي عدة ، الا انني لا ادري لما لفت نظري شاب خلاسي ، قاتم الملامح قاسيها، يشطب وجهه جرح عميق وطويل ، فقال لي « يان » :

ـ لقد استرعى انتباهك هذا الشاب، أليس كذلك ؟ أترغب في سماع قصته ؟

فقلت له :

ـ طبعاً... انك تقرأ افكاري ، فانا اتوق الى سماع خبره .

ـ خبر الجرح ...

ـ انه ضربة سيف ، ولا ريب !؟

ـ كلا ، انه ناشىء عن لعنة !

وخرجنا الى الحديقة وانتحينا ركناً منها ، وجعل « يان » يسرد علي القصة التي اسوقها فيما يلي . قال :

« في العام ١٨٤٧ كان النمسويون والرومانيون المتحالفون

يحاصرون مدينة بجرية تدافع عنها حامية صغيرة يعاونها في مهمتها الشاقة سكان المدينة الشجعان . وقد حملت هذه المقاومة العنيدة قائد المحاصرين على اصدار اوامره الى جنوده بوجوب اطلاق النار على من يقع اسيراً من هؤلاء السكان . فلما انتهى الحصار بفوز النمسويين وحلفائهم الرومانيين وسقوط المدينة ، لم يشأ القائد النمسوي تعديل اوامره السابقة فأعدم كل هنغاري مقاوم في المكان نفسه الذي القي فيه القبض عليه .

«ومن احد المنازل الحقيرة، وهو آخر منزل استسلم اصحابه للفاتحين ، خرج نفر من الرجال بينهم مزارع شاب ومعه طفله الذي لا يتجاوز الرابعة من عمره ، خرجوا ليدفعوا حياتهم ثمناً للحرية التي تعشّقوها . فدفعهم الجنود المتعطشون الى الدماء دفعاً شديداً لا هوادة فيه امام احد الجدران ، واصطفوا هم قبالتهم تمهيداً لاطلاق رصاصهم على صدور المساكين . سوى ان الضابط لمح وجه الصبي الجميل الضارب الى الحمرة ، واعجبه منه عيناه اللتان تشعان بالذكاء والعزيمة الصادقة والشجاعة الخارقة التي يتحلى بها هذا الشعب ، فدار نحو الجنود المتحفزين الى الضغط على زناد بنادقهم وسألهم : هل كان هذا الصبي يحارب مع الجماعة؟ فأجاب الجنود بالايجاب .

«حدق الضابط النمسوي برهة بالصبي الوديع الذي كان ممسكاً بيد ابيه دون ان يدري ما يجري حوله من مآسٍ ، ودون ان

يعلم اي مصير ينتظره ، فأخذته شفقة عليه . وايقن الاب للحال ما يعتمل في نفس الضابط ، فشجّعه هذا الموقف على محاولة انقاذ وحيده ، وما عتّم ان بادره بقوله: انا واثق من انك طيب القلب، يا سيدي ، فهلا تكرمت علي بأمنية اخيرة قبل ان القى وجه ربي؟

« فقال له الضابط :

« — ليكن ما تريد ... تكلم !

« — اسمح لي ان ارسل بعض المال الى زوجتي ، فهي لا تبعد عنا كثيراً ...

« وفي تلك اللحظة وصل القائد يحيط به بعض الضباط ورجل في الثياب المدنية ، بدين ، قبيح المنظر . كان هذا الرجل رئيس البلدية الروماني الجديد الذي عينته سلطات الاحتلال . واغتنم الاب الفرصة ليعرض مطلبه على القائد . فسأله هذا الاخير :

« — ومع من تنوي ارسال المال ؟

« — مع ابني هذا !

« — واذا لم يعد ؟

« فهب الصغير واجاب بعزم اكيد اقتنع معه القائد :

« — سأعود ، يا سيدي .

— حسناً ، حسناً . والتفت الى الوالد قائلًا : اعطه النقود !

« فلما تسلم الصغير النقود قال له القائد :

« — اياك ان تبطىء . أفهمت ؟

« وهرول الصغير مسرعاً تتبعه عيون الضباط وقد رقت قلوبهم لهذا المنظر. اما رئيس البلدية فكان يبدو مضطرباً وعاجزاً عن اخفاء خيبة امله. ولم يشأ الضباط انتظار عودة الصغير في الشارع فدخلوا اقرب حانة تاركين الجنود ورئيس البلدية في الخارج. وخشي هـذا الاخير ان يطلق القائد سراح المزارع الاب شفقة منه على وحيده، وايقن ان اوامره ممكنة التنفيذ في هذه الآونة فأصدر الامر الى الجنود باطلاق النيران على الاسرى. وانطلقت الرصاصات على الاثر مخترقة صدور المجريين المساكين.

« والتفت احدهم الى رئيس البلدية يلومـه على سماحه للصغير بالذهاب قائـلًا انه لن يعود.. ولكنه ما كاد ينهي كلامه حتى صاح جندي آخر صيحة ملؤها الدهشة والاستغراب، داعياً رفاقه الى التطلع في الوجهة التي يشير اليها ببنانه قائلًا:

«– غير ممكن.. ولكنه الصغير. انه آتٍ. لقد وصل!

«وجحظت عينا رئيس البلدية وقدحتا شرراً وارتعدت فرائصه.

«كان الصغير يعدو مسرعاً صوب المكان الذي غادر فيه والده. وكان شاحب اللون منهوكاً، يتصبب جبينه ووجهه عرقاً، وتلتصق شعراته بصدغيه الرطبين. وشق له طريقاً بين جماعة السفاحين فلم يرَ والده، فتقدّم الى حيث تركه... وشاهد المنظر المرعب!

« وانفجر باكياً بكاء مرّاً يفتت الأكباد، مردداً: ابي لمَ لم تنتظرني لنموت معاً؟ لمَ لم تصبر قليلًا؟

« وألقى بنفسه على جثة والده المسكين الغارقة في الدماء، يحيطها بذراعيه كما لو كان يريد ان يبعث فيها الحياة .

« وفقد رئيس البلدية تجاه هذا المشهد توازنه واربدّ لونه. كان سهلاً معرفة النزاع الذي نشب في اعماق نفسه: فهو موزع بين الغيظ الشديد لرؤية خططه تنقلب رأساً على عقب، وبين عاطفة الشفقة التي بـدا في تلك اللحظة انه سيستسلم اليهـا . سوى ان الوحشية تغلبت على التعقل ، فاستوى في مكانه وصاح بجنوده :

« — اطلقوا عليه النار !

« وانطلقت عشرون رصاصة مجرمة تمزق صدر الصبي الذي ذهب يلقى اباه في ديار الأبدية .

« وما هي الا لحظات حتى خرج الضباط من الحانة حيث عبوا من الخمر ما تعتعهم وانساهم ما هم فيه، والاحداث المؤلمة التي تنتظرهم . ولكن القائـد ما لبث ان ثاب الى رشده ساعة لفحه الهواء الطلق المنعش، فتذكر ما كان من امر الصغير الذي أُرسل ليحمل بعض النقود الى والدته. فتقدم من رئيس البلدية وسأله:

« — هل عاد الصغير ؟

« فأجاب رئيس البلدية بصوت جاف :

« — اجل .

« — هل عاد حقاً ؟ ماذا تقول ؟ وماذا فعلتم به ؟

« — لقد امرت باطلاق النيران عليه تنفيذاً لمشيئتك !

«فتراجع القائد الى الوراء كمن لدغه ثعبان ، وصاح بصوت يشوبه الاضطراب والانفعال :

«– وهل فعلت ذلك ؟ طفل ابن اربع سنوات ؟ كيف تدهورت الى هذا الدرك من النذالة والحقارة ؟

وتناول خيزرانته واهوى بها على وجه رئيس البلدية الروماني المشؤوم . فأصابه بجرح بليغ ، لا يندمل .»

قلت لـ«بان» :

– وهكذا فان الشاب الماثل امامنا ليس الا رئيس البلدية الذي حدثتني عنه وعن الجريمة الشنعاء التي ارتكبها ؟

فأجاب :

– كلا ، وهل تظن انه ما يزال شاباً ؟

– اذن ؟ انا لا أفهم !

– انه ابن رئيس البلدية .

– وكيف يحمل هو كذلك آثار الجرح الذي اصاب والده ؟

فقال صاحبي بصوت متهدج :

– انها يد الله ، فقد وسمته العناية الالهية بهذا الاثر البشع . والمعقول ان دم الشهيد الصغير يترك اثره في وجوه احفاد هذا الروماني النذل . انها لعنة ستنزل بذريته . هذا ، ونساء القرية لا يقبلن الزواج منه لخوفهن من ان يحمل الاطفال الذين يولدون من هذا الزواج وصمة العار على وجوههم .

« نزل الزواج »

نزل الزواج ٥
منجم الفضة ١٥
الرهان ٤٠
الجرح الخفي ٤٨
قشاشة الكراسي ٦١
العرافة والعفريت والراعي ٧٣
عالمان ٨٢
تاجر الحرير ٨٩
الحلم ٩٨
يد الله ١٠٦

DATE DUE

808.3:Sh55nA:c.1
شيخاني، سمير
نزل الزواج
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01831321

American University of Beirut

808.3
Sh55nA

General Library